

# مخافة الزيت

رمضان ١٣٩٦ - أغسطس / سبتمبر ١٩٧٦





# قافلة الزيت

العدد التاسع المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة  
- توزيع مجاني -  
العنوان: صندوق البريد رقم ١٢٨٩ - الظهران، المملكة العربية السعودية

## محتوى العدد

- |    |                                                             |                     |
|----|-------------------------------------------------------------|---------------------|
| ١  | في القرآن الكريم من كل لسان .....                           | سميح أبو مغلي       |
| ٣  | هندسة الحارطات .....                                        | جورج ليان           |
| ٦  | صناعة الساعات وعلم التوقيت عبر التاريخ .....                | سليمان نصر الله     |
| ١٤ | مظاهر الطبيعة في شعر أبي تمام .....                         | د. أحمد الحوفي      |
| ١٧ | الخرافة واليقين ( قصيدة ) .....                             | محمود عارف          |
| ١٨ | صفحات مشرقة من تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة ..... | ابراهيم أحمد الشنطي |
| ٣٧ | رؤى الأمس ( قصيدة ) .....                                   | طاهر زمخشري         |
| ٣٨ | التصوير الفني في القرآن .....                               | أبو طالب زيان       |
| ٤١ | أخبار الكتب .....                                           |                     |
| ٤٢ | مرض الخلايا المنجلية .....                                  | د. ابراهيم ناصر     |
| ٤٦ | العالم السعيد ( قصة ) .....                                 | محمد المجذوب        |

القبة الخضراء ومن خلفها إحدى مآذن المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة .

الغالب على صورة الغلاف

راجع مقال : « تاريخ المساجد وعمارتها في مكة والمدينة »

تصوير : شيخ أمين

الديار العام : فيصل محمد البسام المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة

رئيس التحرير : عبد الله حسين الغامدي المحرر المساعد : عون أبو كشك

- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تنشر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر مصدرها .
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

# فك القرآن من كل لسان

بقلم: الأستاذ سميح أبو مغي

نقل عنه أبو الحاتم الرازي ، وضرب لذلك مثلاً بأن (الطور) في العربية : «طورا» في السريانية ، وإن «اليم» في العربية : «يما» في السريانية ، و «استبرق» في العربية : «استيرة» في الفارسية ، و «سجبل» في العربية : هو «سك كل» في الفارسية ومعناه حجارة الطين . قال «أبو عبيد» «ومن أسماء الأنبياء في كتاب الله» إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى إنما هي بالعبرانية وبالسريانية : إبراهيم ، إسموئيل ، ميسا ، وإيشوا ، فعرها العرب .

جاء المتأخرون من العلماء ، وكان موقفهم محاولة التوفيق بين الرأيين ، حيث تبدى لهم أنه ليس ثمة خلاف بين القدماء ، وإن تلك الكلمات التي جاءت في القرآن ووضعت بالأعجمية إنما هي ألفاظ اقتبسها العرب الأقدمون من لغات مجاورة وصقلوها وهدبوا صورتها ثم شاعت في كلامهم قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام وجدوها تكون عنصراً من عناصر اللغة العربية ، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجمة فيها ، فمثلها مثل كل الكلمات العربية التي كانت تجري على ألسنتهم ، ولذا تعد من اللسان العربي ، غير أنها على حسب أصلها البعيد أعجمية ومستمدة من لغة أجنبية .

تتبع رأيه مفصلاً في «الرسالة» حيث اعتمد في رد دعوى العجمة عن القرآن الكريم على نقطتين :

«ان لسان العرب واسع المذهب ، فلعل اللفظ المقول بأعجميته كان عربياً ، ولكن لا يعلم عربيته إلا بعض العرب ، ممن بلغهم علمه ، والقرآن ذاته يدل على أنه خال من الأعجمي .

« وإن ما جاء من الأعجمي موافقاً للعربي فإنما هو من باب توافق اللغات لا أكبر .

وزعم الفريق الثاني أن في القرآن ما ليس بلغة العرب حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط ، معتمدين في دعواهم هذه على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة من أن أمثال : سجبل ، مشكاة ، أباريق ، استبرق ، أليم ، والطور ، من غير لسان العرب . ويرى أصحاب هذا الرأي أن ابن عباس وصاحبيه أعلم بالتأويل من أبي عبيدة .

قال الامام السيوطي : «وأقوى ما رأيته للوقوع ، وهو اختياري ، ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال : «في القرآن من كل لسان» وقد صوب هذا الرأي أبو عبيد القاسم بن سلام ، فيما

أواخر القرن الثاني الهجري والجلد قائم بين اللغويين فيما يتعلق بتلك الكلمات الواردة في القرآن الكريم من أمثال : استبرق ، وسجبل ، ومشكاة ، وطه ، والتنور ، والصراط ، والقسطاس ، وغيرها .

وقد انقسم القدماء بصدد ذلك الى فريقين : ذهب الفريق الأول الى أنه ليس في كتاب الله - عز وجل - شيء بغير لغة العرب ، مستندين في قولهم هذا الى قول الله تعالى «انا جعلناه قرآناً عربياً» وقوله «بلسان عربي مبين» وقوله «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي» وكان على رأس هذا الفريق الامام الشافعي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن جرير الطبري والقاضي أبو بكر الباقلاني .

روي عن أبي عبيدة قوله : «من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول» واحتج بقول الله تعالى «انا جعلناه قرآناً عربياً» كما روي عنه قوله : «ومن زعم أن طه بالنبطية فقد أكبر الفرية، وإن لم يعلم ما فيه ، فهو افتتاح كلام ، وهو اسم للسورة وشعار لها .

أما الشافعي فقد شدد النكير على القائلين بوجود الأعجمي في القرآن الكريم ، ويمكننا



قال ابن سلام أبو عبيد القاسم :  
والصواب عندي مذهب فيه

تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بالستها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال أنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق . وذكر الجواليقي في المغرب مثله وقال : فهي عجمية باعتبار الأصل ، عربية باعتبار الحال . وركز بعض هؤلاء المتأخرون القول على أن الكلمات الأعجمية المذكورة في القرآن الكريم ان هي إلا اتفاق وقع بين اللغات فليست هذه الكلمات بأعجمية فقط ولا عربية فقط وإنما هي واقعة في العربية وغير العربية مؤكدين بذلك ما ارتآه الشافعي وأبو عبيدة من الفريق الأول من القدماء . قال الامام فخر الدين الرازي : ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاس والاستبرق والسجيل ، لا نسلم أنها غير عربية ، بل غاية ان وضع العرب فيها وافق لغة أخرى ، كالصابون والتنور فان اللغات فيها متفقة . وقال ابن جني في الخصائص : يقال أن التنور لفظة اشتركت فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم . وأورد الغالبي في فقه اللغة : فصلاً في أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد ، وذكر (التنور) على رأس تلك الأسماء .

غير أن السيوطي في (الافتقار) أورد باباً ذكر فيه ما ورد في القرآن من الألفاظ بغير لغة العرب ذكر منها قرابة ستة وعشرين لفظاً أرجعها إلى اللغة الحبشية .

والمحدثون من اللغويين ، أيضاً ، تباينت أراؤهم ، فمنهم من ينكر وجود كلمات أعجمية في القرآن الكريم ، فالمحقق الشيخ أحمد محمد شاعر في نشره لكتاب المغرب للجواليقي يقول : والعرب أمة من أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرانية والسريانية وغيرها ،

بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيهم الأول قبل التاريخ ، فعمل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها ، لعله من بعض ما فقد أصله ، وبقي الحرف وحده .

غير أن هذا الشيخ المحقق الجليل بتصديره رأيه بلفظة (لعل) يجعلنا نوقن أنه إنما يلجأ إلى أحكام ظنية .

الدكتور عبد الصبور شاهين فقد جمع الألفاظ القرآنية التي يقال بأعجميتها في أربع مجموعات : ألفاظ المجموعة السامية ، ألفاظ المجموعة الهندوأوروبية ، ألفاظ المجموعة الحامية ، وألفاظ المجموعة الطورانية ، وقد اجتهد المستشرق «نولدكة» في إيراد ما استطاع الاهتداء إليه من الألفاظ الحبشية التي استعملها القرآن ، كما ذكر «برجشتراسر» طائفة من الألفاظ العربية الدينية التي ترجع إلى أصل حبشي كالحواريين ومنافق وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان إلخ .

ولقد جاء في أقوال الدكتور عبد المجيد عابدين في هذا الصدد أن كلمة «حواري» مثلاً مع كون بنائها غير مألوف في العربية ، لا يمكن اشتقاقها من «حار» لأن ما هو أقرب إلى معنى الحواريين من معاني هذه المادة ، وهو الرجوع ، أبعد عنه بكثير من معناها في الحبشية وهو السير والسفر ، والحواريون في لغة الكنيسة رسل المسيح . وكذلك «منافق» مأخوذ من نافق الحبشية أي شك وداهن وخالف ، ولا علاقة في العربية بين النفاق وسائر معاني مادة نفق فيها ، وهي في الحبشية تدل على المخالفة والاتصال ، فالمنافق هو الذي يخالف ظاهره باطنه . و «فطر» لم تؤد معنى الخلق في العربية قبل مجيئها في القرآن الكريم ، وأصل معناها العربي الشق ، وهي في الحبشية مألوقة في معنى الخلق . وكلمة «مشكاة» في الحبشية : «مصكوت» ومعناها الكوة ، وفي القرآن يرسم المقطع الثاني بالواو «مشكوة» مما يدل على أن

حركته لم تكن فتحة ممدودة في الأصل وإنما كانت واواً مالة كما في الحبشية تماماً .

ففي تصوري أنه لا بد من نظرة إلى أصول التاريخ القديم ، فهناك نجد روايات عن هجرات خرجت من الجزيرة العربية قبل التاريخ ، إلى بلاد العراق هي الهجرات الأكادية التي ولدت البابلية والآشورية والكلدانية ، وإلى بلاد الشام والتي ولدت النبطية والآرامية والسريانية وغيرها ، وكذلك نجد روايات تخبرنا عن هجرات إلى بلاد الحبشة وتأسيس مملكة عربية على ساحل البحر الأحمر من الجهة الأخرى «لعلها في ارتيريا اليوم» ونجد أيضاً غزوا حبشياً لليمن وغزواً فارسياً ، كل ذلك بالإضافة إلى اتصال العرب بكل من حولهم من حبش وفرس وروم عن طريق التجارة والوفادة وعن طريق المناذرة والغسانة واليمن . ولو أتيح لنا أن ندرس كل ما يتعلق بتلك الروايات عن تلك الفترات التي سبقت الاسلام بوقت طويل ثم بوقت قصير لأمكننا أن نتصور ألفاظاً من اللغة العربية نزلت مع من هاجروا ومع من تاجروا إلى بلاد الشام وفارس والحبشة وأن هذه الألفاظ التي يظن أنها أعجمية في القرآن الكريم ، وفي اللغة العربية بعامة قبل الاسلام وفي فجره ، ان هي الا تلك الألفاظ التي ذهبت وقد عادت إلى حظيرة العربية ، فهي عائدة وليست وافدة و «الألفاظ تجاوز حدودها ثم تعود» كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي ، أما البروفسور أولمان فيسمي هذه الظاهرة باستيراد الصادرات في كتابه «دور الكلمة في اللغة» الذي ترجمه إلى العربية الدكتور كمال بشر .

على أننا لا نزعج أن كل الألفاظ القرآنية المقول بأعجميتها هي ألفاظ عائدة ، وإنما هنالك ألفاظ من لغات سامية وغير سامية وفدت إلى العربية ولكنها أصبحت بحكم العربية بعد أن لاكتها الألسن والأشداق العربية وقضي بها طول التزامن وذلك قبل نزول القرآن بلسان عربي مبين ●

سميح أبو مغلي - عمان



# فقه الخرائط

بقلم: الأستاذ جورج لسان

القرن

قديماً على تصميم الخرائط الكروية وهندسة الخرائط المسطحة (١) لفئة محدودة من البحارة ، حين دخل هذا الفن الدقيق طور الجمود ، فطور الانحطاط طوال القرون الوسطى . ففي هذا الدور المظلم انتقلت علوم اليونان والهند والفرس الى العرب في زمن الأمويين أولاً والعباسيين ثانياً ، وإبان نهضة العرب في الأندلس الذين اندفعوا بحماس نحو نقل وترجمة الكتب الجغرافية التي كانوا يظفرون بها . ويذكر ابن النديم في « الفهرست » طائفة من الكتب الجغرافية والفلك والرياضيات التي عرف بها وجاء على ذكرها . وكان من اهتمام العرب بالفلك انهم وضعوا آلات رصدية متنوعة جداً ودقيقة الصنع ، مستندين في ذلك الى علم الآلات . وفي مكتبة « الاسكوريال » بأسبانيا نماذج من الاسطرلابات العربية والأدوات الخاصة بالملاحة وهندسة الخرائط وتصميمها . هذه الثروة الضخمة من المعارف انتقلت بدورها الى أوروبا في خلال

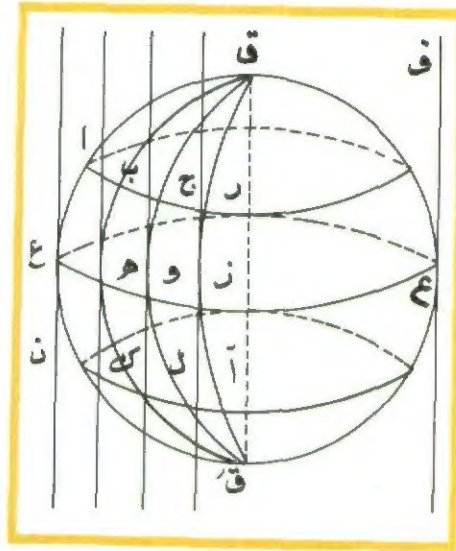
القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، واستفاد منها أبناء « جنوا » و « البندقية » في أسفارهم واستطلاعاتهم ، والاسبان في اكتشاف العالم الجديد ، والبرتغاليون في مغامراتهم لاكتشاف طريق الهند .

ازدهر فن رسم الخرائط لدى ظهور خرائط « دي لاكازا » عام (١٥٠٠م) ، و « جورج رينيل » البرتغالي عام (١٥٠٥م) وتحفة « مركاتور » المتقنة ، وخرائط أسبانية أخرى ، فحملت فريقاً من الربانة على عقد اجتماع في « شارل كنت » سنة ١٥٢٦م تقرر فيه جمع الخرائط العربية - الاسبانية نظراً لضبط تنسيقها الفني ومعلوماتها العلمية الصحيحة . وعلى أثر ذلك ظهرت خرائط عديدة أهمها : خرائط « سيا ستان كابو » الكروية المسطحة ، و « أورانس فينه » ، و « ديسيليه » ، و « جان دي كلامورغان » ، وخرائط مسطحة دقيقة « لهارلي » ومئات غيرها .

وقد تزعم الهولنديون ، في ذلك العهد ، حركة النهضة الجغرافية بوجود « اوريليوس » وبخاصة « مركاتور » الذي ابتكر تصميمين جديدين : الأول : وقد أظهر فيه شكل الكرة الأرضية وعرف هذا النوع من التصميم بفن « تجسيم الصور وتكبير الرسوم - Stereographic » . الثاني : وهو عبارة عن خرائط دقيقة جداً للملاحة اشتهرت « بتصميم مركاتور » . وهكذا بدأت معارف الجغرافيين ورسمي الخرائط تتوسع وتتطور خلال القرون ، السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر . وقد ظهر أول تخطيط لمساحة دولة أوروبية في اسكتلندا في يد « بورايوس » حيث اتبعت بقية الأمم نسقه في هندسة الخرائط البحرية والأرضية . ولا يسمح المجال بالخوض في تواريخ الخرائط وشكل تصميمها الهندسي في كل دولة على حدة ، لذلك فاننا سنكتفي بإبراز الناحيتين العلمية والفنية في مساهمة العرب وصلتهم الوثيقة بالاكتشافات الكبرى وبالنهضة الانسانية .

(١) - الخارطة : ما ترسم على هيئة الأرض أو إقليم منها . ويقول صاحب المنجد : ان عربيته المصور أو المخطط ، واصطلح اسم « خارطة » على الكرات .



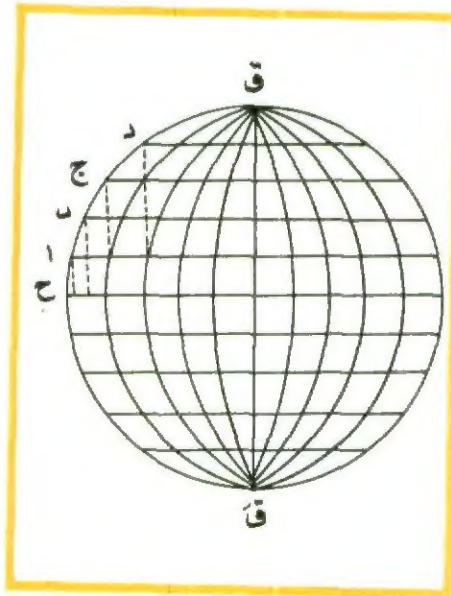


تصميم خريطة مركاتور

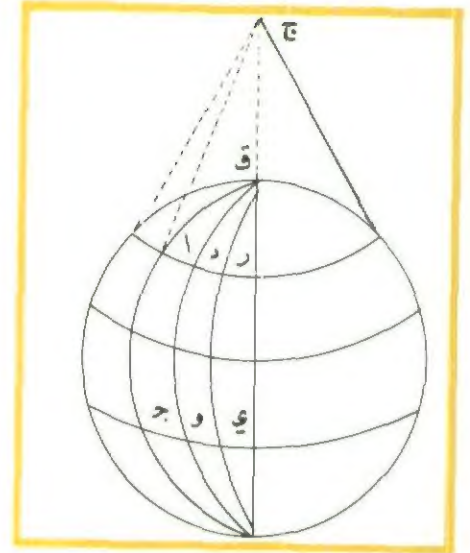
القماش الرقيق العادي فيمثل خطوط العرض والمتوازيات المعينة بشكل هندسي ، وأما باتباع قانون رسمي يفرضه اعتبارات خاصة يراد تطبيقها . وعلى أساسها تنقسم التصميمات الى مجموعتين :

• التصميمات الأورثوغرافية المطبوعة «Projection Orthographique» والمجسمة الصور والرسم «Projection Stereo-graphique» وهي تصمم على صفحة مسطحة منبسطة يختار لها تخطيط الهاجرة أو الاستواء ، وهذا الأسلوب متبع في رسم الخرائط العالمية .  
• التصميمات المخروطية ، والاسطوانية ، والمتعددة الجوانب والوجوه : تصمم هذه كلها على سطح من ، مخروطي أو اسطواني أو متعدد الجوانب ، أو سطح محدود ومحصور في قطع ، وقد يختلف كذلك تقريباً عن الجزء أو الجانب المعد للرسم ، وتمدد فيما بعد على صفحة السطح المعين . وتتبع في رسم خرائط المساحة ، طريقة تشابه الأجزاء التي ابتكرها «بابينه» لإبراز السطوح ، أو طريقة «كاسيني» في تخطيطه الإقليمي ، أو طريقة «فلامستيد» المستمدة من طريقة «بون - Bonne» الخربية . أما الطرق الأخرى المنبثقة في رسم الخرائط والمخططات ، فتشمل :

• التصميم الكتابي المضبوط لموقع ما على سطح مستو هو الركيزة لخط عمودي وضع للموقع المقصود على الصفحة المستوية . ويطلق على خط الاستواء المرسوم على السطح «تصميم كتابي استوائي» - «Projection Orthog-



تصميم كتابي لخطوط الطول



تصميم خريطة أركان حرب

## نسب التصميمات

تنفذ عمليات التخطيط أولاً على سطح منبسط ، لتظهر الخطوط والمواقع المتعددة واضحة على سطح كروي . وتشمل هذه العمليات أما سطح الكرة كاملاً أو أقسامه الرئيسية أو ناحية واحدة منه فقط . ففي الحالة الأولى تسمى تلك التصميمات «الخرائط العالمية - Mappa - Mundi» ، والكروية المسطحة حين تكون الخريطة على شكل دائرة ، وفي الحالة الثانية : يطلق عليها اسم «الخرائط العامة أو الخرائط الخاصة» ، وهذه الأخيرة تشمل المخططات الخاصة بمساحة الأراضي - «Topographique» والرسم الهندسية - «Geometrique» والخرائط المتعددة الألوان - «Chromogrpahique» . ويوجد نسق خاص برسم الخرائط المائية - «Hydrographique» وتشمل الأبحر والأنهر ، والجبلوجية ، إلخ . أما السطوح شبه الكروية فليس من السهل اتقانها لأنه من المستحيل تكوين شكل مسطح منها .

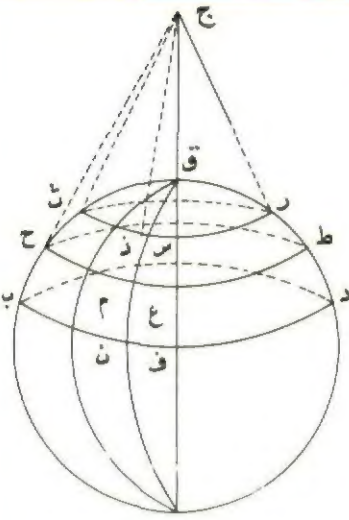
إن أساس كل الخرائط هو الخيش - «Canvas ، Talagarsa» أي القماش الذي تتقابل فيه شبكة خطوط الطول والمتوازيات المسطحة مع خطوط الطول والمتوازيات في الكرة . فهذه الشبكة قد تنتج عن تخطيط حسب حكم هذا أو ذاك من خطوط الطول والمتوازيات المقابلة تقريباً لسعة السطح ، ويتم طريقة التخطيط هذه إما برسم الخطوط على

«raphique Equatoriale» . ومن البديهي ، أن تنقل التقاطعات في وسط الخريطة بدقة تقريباً . وأما تلك ، المجاورة لخط الاستواء ، فمشوهة . وتستعمل هذه الطريقة عادة في رسم الخرائط الفلكية . ومن بين الخرائط المرغوبة ، الخرائط البحرية ، التي تسهل للربانة الأبحار عبر المحيطات بأمان ، وتكون عادة مسطحة وصغيرة الحجم . وهناك أيضاً الخرائط المجسمة المستخدمة لأغراض الأبحار قرب الشواطئ وفي الأسفار البعيدة . ففي هذا اللون من الخرائط يوجد ، عدداً عن الإشارات الخاصة بمواقع النيران ، والمنارات ، والعوامات ، والصخور ، خطوط تدل على المواقع القليلة العمق ، وتعليمات وافية عن موانئ الرسو ، كمركز الميناء وموقعه الجغرافي . أما المسابير ، والأعماق ، والمرفعات فتظهر في الخريطة بالأمتار وبتدرج بدرجات دقيقة .

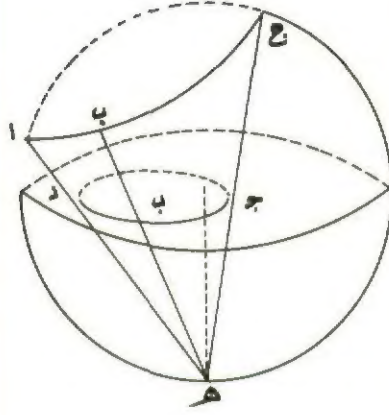
وإذا أعتبر خط هاجرة كرسم في التصميم ، فيكون الرسم كتابياً هاجرياً . فالمتوازيات الواقعة عند ذاك الخط تمثل على القماش بخطوط قائمة بخط عمودي مقابل للقطبين ، وخطوط الطول بأقواس ناقصة الدوائر . وكل ما يمر بمركز الأرض من خطوط الطول والمتوازيات على غرار ذاك الرسم ، يظهر ، حتماً على القماش على شكل أقواس ناقصة الدوائر .

ومع مرور الزمن ، تعددت أشكال الخرائط الجغرافية وصارت كل دولة تعني برسم خرائط مفصلة أو موجزة لبلادها وللمناطق التابعة لها . وهذه الخرائط ترسم عادة على درجات وأحجام

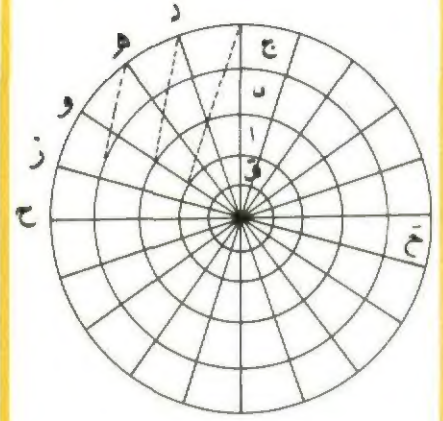




التبسيط البطليموسي



تصميم هاجري مجسم



تصميم كتابي استوائى

وإنما يمكن حساب طول «أد» و «بد» و «جد» بواسطة حساب المثلثات . وهناك أيضاً خرائط خاصة بالظواهر الجوية، والفيزيائية ، ومنها الخرائط المغناطيسية التي يستدل بها على مواقع العناصر المغناطيسية في أماكن مختلفة من الأرض : أي الميل ، والانحراف ، والكثافة المغناطيسية ، فقد تكون مختلفة في مكان واحد ، والخرائط تشير الى قيمتها الوسطية سنوياً . فالانحناءات أو تجمع نقاط الانحناء نفسه تسمى «خطوط الزوايا المتماثلة أو المتساوية - Isoconique» والتي تجمع نقاطاً متساوية الميل تسمى «خطوط متساوية الميل - Isocline» ، والمحددات تسمى «الخطوط المتساوية القوة أو المتناسية الحجم - Isodynamiques» وهي تجمع نقاط مغناطيسية متساوية الكثافة . فخط تساوي الميل يتجاوب أحياناً مع ميل باطل يسمى الاستواء المغناطيسي ●

جورج ليان - الارجنطين

الصور القديمة . وكلما ازداد اتقان صنع المراصد صار في الامكان رؤية أبعد النجوم وتصويرها . وقد سهلت أجهزة الرصد الحديثة للعلماء رؤية ما فوق القدر السادس عشر من النجوم وتصويرها وتحديد مواقعها ووضع خريطة دقيقة جداً للقبة الزرقاء ولابعاد النجوم ومراكزها. أما بالنسبة للخريطة الهندسية فيرسم عليها ما يستدل به على طبيعة الأرض وما في جوفها ، وتعرف «بالخريطة الجغرافية الأرضية - Geodesie» ومثلها الخرائط الطبوغرافية التي يفصل فيها تخطيط مكان معين تحل عملياتها على الطريقة التالية :

على الخريطة ثلاثة مواقع أدلتها «أ ب ج» والمطلوب أن يحدد عليها الموقع الرابع «د» ، بمعرفة الزوايا التي تنظر من موقع د ، وطول كل من أ ب و أ ج . فحل المسألة هندسياً سريع جداً ، الموقع «د» هو الملتقى أو نقطة التقاطع لقوسى الدائرة المتجاوبين مع قطع الدائرة المبينة على «أ ب» و «ب ج» اللذين يشكلان الزوايا المعروفة . فتحديد الموقع «د» ليس دائماً عملياً ،

تبعاً للحاجة . أما بالنسبة لتحديد مراكز النجوم في القبة الزرقاء فيمكن القيام بذلك بالارصادات المستمرة للحصول على لوائح أو سجلات بها . وقد غني العرب بهذه اللوائح وبهذا النوع من الخرائط . وتنظيم هذه اللوائح دقيق ومهم للغاية ويقتصر فقط على النجوم والكواكب المشعة الساطعة أي المنيرة ، وهذه الانارة يقال لها أقدار والواحد قدر . فالقدر الأول نحو عشرين نجماً ، والقدر الثاني أربعين نجماً . وأما نجوم القدر الثالث فنحو ١٤٠ نجماً والقدر الرابع فنحو ٣٠٠ نجم ، والخامس فنحو ٩٥٠ نجماً ، والسادس فنحو ٤٤٥٠ نجماً . وكل قدر يحوي من النجوم أكثر من ثلاثة أضعاف ما يحويه سابقه ، وعليه يجب أن تحصى النجوم بالملايين . ولا يرى بالعين المجردة ما دون القدر السادس من النجوم ، فيكون مجمل النجوم الظاهرة للعين المجردة ما يزيد على ستة آلاف نجم . أما الصور النجومية القديمة ومولدة ، فالقديمة هي التي عرفها العرب بأسمائها، والمولدة ما كان غير معروف عندهم وهي مقتطعة من



# صِنَاعَةُ السَّاعَاتِ

وَعِلْمُ التَّوْقِيتِ

عَبْرَ التَّارِيخِ

سَبَقَ الْإِنْسَانُ مَعَ الزَّمَنِ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُنْذُ فُجِّرَ التَّارِيخُ،  
فَمَا يَكَادُ الْمَرْءُ يَسْتَقِرُّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلَى هَذَا  
الْكُونِ الْفَسِيحِ، حَتَّى تَحْتِثَ سَاعَةُ الْأَفْئُولِ فَيَقْطُوعَهُ بِجَلَّةِ  
الزَّمَنِ الْقَلْبَاقِي عَنْ الدُّوَرَاتِ. وَقَفَّ الْإِنْسَانُ أَمَامَ هَذَا  
الْخِصْمِ الرَّهِيبِ، الزَّمَنِ، وَقَفَّةَ التَّأَمُّلِ الْمَتَدَبِّرِ، شَاهِدَ  
الشَّمْسِ تَشْرُقُ وَتَغِيبُ، وَرَأَى الْقَمَرَ يَحِلُّ فِي أَطْوَارِ رَبِيعَةٍ يَلِدُ فِيهَا  
هَيْلًا لَا وَيَكْبُرُ حَتَّى يَصِيرَ يَدَارُثُ مَا أَخَذَ فِي النِّقْصَانِ حَتَّى  
يَعُودَ كَمَا بَدَأَ. رَاقِبَ النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ وَهِيَ تَسُجُّ فِي  
أَفْلَاقِهَا وَرَصَدَ حَرَكَاتَهَا وَمَسَارِقَهَا، فَأَوْحَتْ إِلَيْهِ  
تِلْكَ الظُّوَاهِرُ بِمَجْمَعَةِ فِكْرَةٍ قِيَاسِ فَتْرَةٍ وَجُودِهِ فِي  
خِصْمِ الزَّمَنِ، فَاخْتَرَعَ آلَاتَ لِقِيَاسِ الْوَقْتِ كَانَتْ  
بَدَائِيَّةً بِمَسِيطَةٍ فِي يَدَيْهِ الْأُمُورِ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ  
أَنْ تَتَطَوَّرَ مَعَ الزَّمَنِ حَتَّى أَصْبَحَ لَدَيْهِ فِي عَصْرِ  
الْفَضَاءِ وَالْكَبِيرُوتِ "سَاعَاتُ الْكَتْرُونِيَّةِ" رَقْمِيَّةٌ  
تَقِيْسُ الْوَقْتَ حَتَّى الْجُزْءَ مِنَ الْمِلْيُونِ مِنَ الثَّانِيَةِ.



ونحن اذا أدركنا عقارب الزمن الى الوراء ، مع استحالة عملنا هذا ، نجد أن الانسان في فجر التاريخ قد حاول تقسيم انقضاء الوقت الى فترات يمكن حسابها . فالسومريون الذين عاشوا في بلاد ما بين النهرين حوالي ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، قسموا السنة الى اثني عشر شهراً . ثم جاء البابليون فقسموا كل شهر الى ٢٩ يوماً ونصف اليوم . أما المصريون القدماء فقسموا السنة الى ٣٦٥ يوماً واليوم الى ٢٤ ساعة . ويعود الفضل الى الرومان في ادخال السنة الكبيسة ، فقد كانت السنة الرومانية ، منذ زمن بعيد ، تقسم الى ١٢ شهراً تختلف في طولها ، وكان عدد أيامها يبلغ ٣٥٥ يوماً ، أما الأيام العشر الباقية من السنة الشمسية ، فكانت تجمع لتكون شهراً آخر كان يسمى «مرسيدونيوس - Mercedonius» . وفي أيام الاضطرابات التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية ، في القرن الأول قبل الميلاد ، توقف ذلك النظام حين قرر «يوليوس قيصر - Julius Caesar» أن تكون احدى السنوات وهي سنة ٤٦ ق.م. ٤٤٥ يوماً ، ثم أعلن أنه منذ ذلك التاريخ يجب أن تكون السنة ٣٦٥ يوماً ، ويزاد يوم واحد كل أربع سنوات فتصبح ٣٦٦ يوماً ، وهي السنة الكبيسة التي نعرفها ، وبهذا التغيير البسيط تم التقويم اليولياني ، نسبة الى يوليوس قيصر ، المستخدم اليوم . وقبل التعديل الذي أدخله يوليوس قيصر كان شهر مارس هو أول شهور السنة ، وهذا يفسر لنا أسماء الشهور سبتمبر ، وأكتوبر ، ونوفمبر ، وديسمبر ، وهي السبع والثامن والتاسع والعاشر على الترتيب ، وفقاً لنظام

الحساب الروماني . ثم جاء البابا «غريغوريوس الثالث عشر» عام ١٥٨٢ م ليدخل تعديله الأخير على التقويم اليولياني بزيادة سنة كل أربعة قرون أي أن السنوات القرنية لا تعد كبيسة إلا اذا قبلت القسمة على ٤٠٠ ، وبذلك التصحيح أصبح لدينا التقويم الغريغوري المنسوب الى غريغوريوس ، وهو الشائع الآن . وإلى جانب التقويم الغريغوري ، لدينا التقويم الهجري الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وبموجبه تتألف السنة الهجرية من ١٢ شهراً قمرياً ، أي ٣٥٤ يوماً شمسياً وسطياً ، وفي السنوات الكبيسة من ٣٥٥ يوماً . **والزمن** كان تقسيم انقضاء الزمن الى قرون ، وسنوات ، وشهور ، وأسابيع ، وأيام ، وساعات ، أمراً بالغ الأهمية في تاريخ الحضارة الانسانية ، فان ابتكار وسائل لقياس هذه الفترات الزمنية بدقة غدا أهم وألزم لتنظيم شؤون الانسان الحياتية . ففي تلك الأزمان السحيقة من تاريخ الانسان ، لم يكن اليوم المكون من ٢٤ ساعة بمثابة تسلسل ساعات ودقائق كمهدنا به الآن ، بل كان مجرد حين يتخلله نور الشمس من الشروق الى الغروب ثم يلغى الظلام الدامس . لذا اعتمد الانسان في محاولاته الأولى لقياس الزمن على تمدد الظل وتقلصه تحت تأثير ضوء الشمس خلال ساعات النهار ، فابتكر «المزولة الشمسية - Sundial» التي يتحرك ظل الشمس عليها كتتحرك عقرب الساعة ، فكانت تلك هي أول ساعة استخدمها الانسان في تاريخه الطويل . ولئن اختلف المؤرخون فيمن سبق الى اختراع المزولة ، فان



«ساعة فلكية بيزاوية الشكل تضمها علية أنيقة موعة بالذهب والفضة .

**س**فن صناعة الساعات و «علم قياس الوقت - Horology» ، بفترة انتقالية شهدت أعظم الانتصارات التي حققها الانسان في مجال الفضاء . ولعل التطور الذي تم في حقل علم قياس الوقت في السنوات العشر الماضية كان ذا أثر جليل في الدقة التي توخاها علماء الفضاء في عمليات اطلاق المركبة الفضائية نحو أهدافها المرسومة . فالساعات الآلية ، على تباين أنواعها وأحجامها ، التي تقاس دقتها بالثواني في اليوم الواحد اخذت تتوارى عن الانظار لتفسح المجال للساعات الالكترونية التي تقاس دقتها ببضع ثواني في العقد الواحد . ليس ذلك فحسب ، فهناك الآن «ساعات السيزيوم الذرية - Cesium Atomic Clocks» التي تبلغ حداً من الدقة يصل الى ثانية واحدة في ٣٠٠٠ سنة . كما أن مصير الساعات التقليدية ذات العقارب ، وهي الشائعة اليوم ، سيتضاءل تدريجياً أمام الساعات المستحدثة التي تعلن الوقت على مينائها بأرقام مضبوطة ، شأن اشارات النيون الضوئية في الأحياء التجارية ذات الويمض المتصل . وهذه الساعات أخذت تشق طريقها في الأسواق مثل كل سلعة مستحدثة أو كل جديد مبتكر .



«ساعة المدفع» كما كان يطلق عليها في منتصف القرن الثامن عشر ، وهي محفوظة في متحف باريس ، فعند الساعة الثانية عشرة ترم أشعة الشمس من خلال العدسة المكبرة فتنتقل القذيفة من المدفع .





أضخم ساعة تقويم في العالم ، وهي توجد في « مسينا » بصقلية ، ويبلغ طول قطرها أربعة أمتار .

القصيرة . وجدير بالذكر أن نوعاً نقيساً خاصاً من هذه الساعات المائية صنع للخليفة العباسي « هارون الرشيد » . كذلك صنع الفيلسوف الأغريقي « أفلاطون » لنفسه ساعة مائية تشتمل على « ناي » يصدر لحناً خاصاً كل ساعة من ساعات الليل . وقد راج استخدام تلك الساعات في العصور الوسطى في كل من آسيا وأوروبا . وعلى المبدأ الأساسي الذي تعمل بموجبه الساعات المائية ابتدع الصينيون نوعاً جديداً من الساعات أطلق عليه اسم الساعة النارية ، وهي عبارة عن جهاز يحتوي على شمعات ، من النوع الذي يحترق ببطء ، تحتها عدد من الحيوط مربوط في أطرافها أثقال ، فكلما أتت الشعلة على خيط سقط الثقل تلقائياً في طبق نحاسي محدثاً رنيناً يدل على عدد الساعات المنقضية . وكانت هذه الساعات علاوة على قياس مرور الوقت تستخدم



نموذج آخر لساعة المدفع التي كانت تستخدم في القرن الثامن عشر .

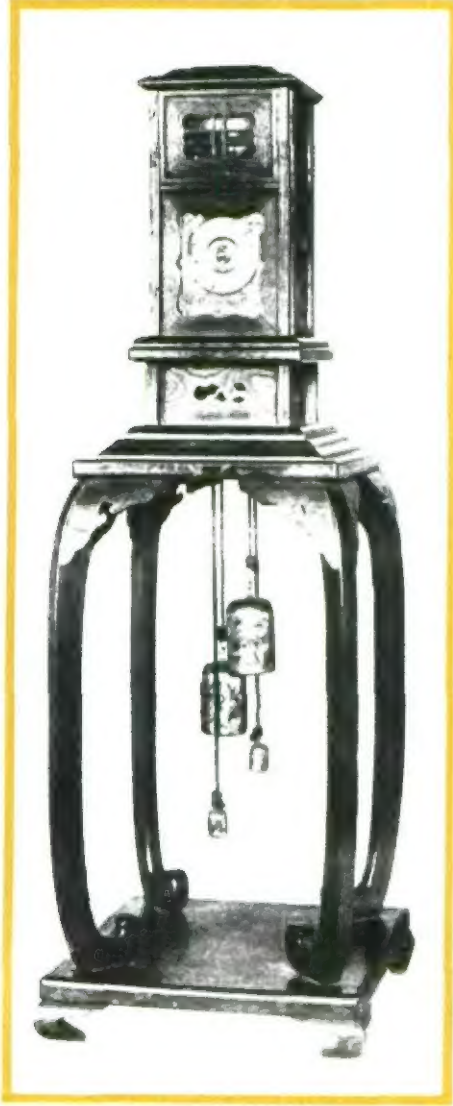
الاختراع في حد ذاته كان بمثابة الانفلاقة الأولى لمواصلة الانسان البحث عن وسائل أخرى أدق و أفضل . فمن قائل أن السومرين هم أول من استنبط الساعة الشمسية ، وهناك من يرجع الفضل في ابتكارها الى المصريين القدماء ، إذ عثر علماء الآثار في الحفريات التي أجروها في مواقع متعددة في مصر مؤخراً على أشكال مختلفة من المزاوِل المصرية . فما المسلات المشهورة التي أشادها المصريون القدماء أمام المعابد إلا شكلاً من أشكال الساعات الشمسية . وفي العصور الوسطى أدخلت تحسينات جمة على المزاوِل الشمسية وخاصة المتقلة منها ، اثر التقدم الواسع الذي أحرزته الانسانية في مجال علم الفلك الذي ضرب فيه العرب بسهم وافر . ولما كانت الساعات الشمسية تعتمد على ظهور الظل وهذا بدوره يعتمد على أشعة الشمس نهائياً ، فإن الأحوال الجوية المتقلبة كانت تقف عائقاً دون الاستفادة استفادة كاملة من مثل هذه المزاوِل . لذلك اتجهت أنظار الانسان الى ايجاد وسائل أخرى لقياس الزمن فابتكر « الساعات المائية — Clepsydra » . والطريقة البدائية التي اتبعها الانسان في صنع هذه الساعة هي تعبئة الماء في اناء مدرج ذي ثقب صغير جداً في قعره ، يتسرب الماء من خلاله على فترات زمنية متساوية . فكان انخفاض منسوب الماء في الاناء يبين الساعات . أما الميزة الرئيسية للساعات المائية فتكمن في امكان استخدامها لقياس الوقت في الليل والنهار على عكس المزاوِل الشمسية التي تستخدم في ساعات النهار فقط ، كما أنه أصبح بالامكان قياس الفترات الزمنية



الساعة الفريدة في العالم التي تعطي الوقت القمري وقد تم تصميمها عام ١٩٧١ وفقاً للنظرية التي توصل اليها الدكتور كينيث فرانكلين .



ساعة كهربائية تستمد طاقتها من جهاز خاص في حجم الزر الصغير .



ساعة آلية تعتمد حركتها على الأثقال الساقطة وهي تشبه المصباح في شكلها .





آلة تصوير قمرية استخدمت لتعيين موقع القمر بالنسبة للنجوم ولتحديد مقدار التردد الأساسي للساعات الذرية.

منذ أيام السيد المسيح عليه السلام ، وهي تعتمد في قياس الزمن على حركة انسياب الرمل وانتقاله من وعاء يضيوي الشكل الى آخر . وهكذا نرى أن الانسان استخدم عناصر الطبيعة كالشمس والماء والنار والرمل لقياس مرور الزمن . بيد أن التحول الكبير في هذا المجال تم إبان فجر الانقلاب الصناعي في أوروبا وعندما تمكن الانسان من اختراع أول ساعة آلية في عام

كساعات منبهة . وعلى غرار الساعة النارية الصينية ، استنط الملك « الفرد الكبير - Alfred » ( ٨٤٩م - ٨٩٩م ) ، ملك بريطانيا ساعة الشمعة ، وفيها تستخدم شمعة ذات أعلام على أبعاد متساوية ، فبينما الشمعة تحترق كان يمكن قياس مرور الوقت . ومن بين الساعات البدائية الأخرى المعروفة « الساعة الرملية - Sand Clock » التي شاع استعمالها

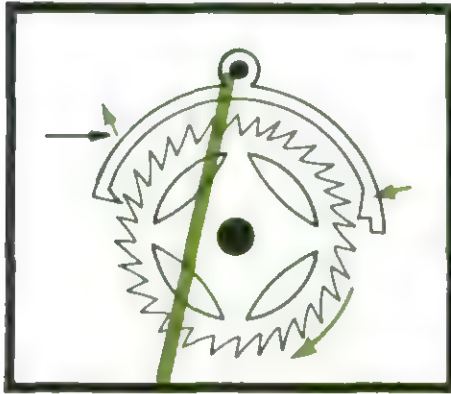


ساعة شمسية يبلغ طولها ٣٦ قدماً ، وهي أقدم وأضخم ساعة في العالم ، وتقوم في وسط حديقة القبة الفنية الاصطناعية في « مورهد » في الولايات المتحدة الأمريكية .

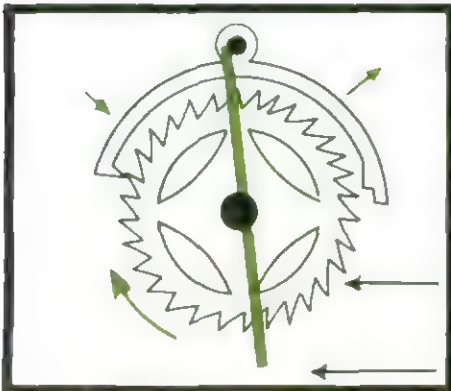




تقيد لساعة مائة من القرن السابع عشر .



الحركة الميكانيكية لجهاز المعايرة في الساعة تقوم بضبط حركة عجلة الموازنة وتمد الرقاص بنضات منتظمة .



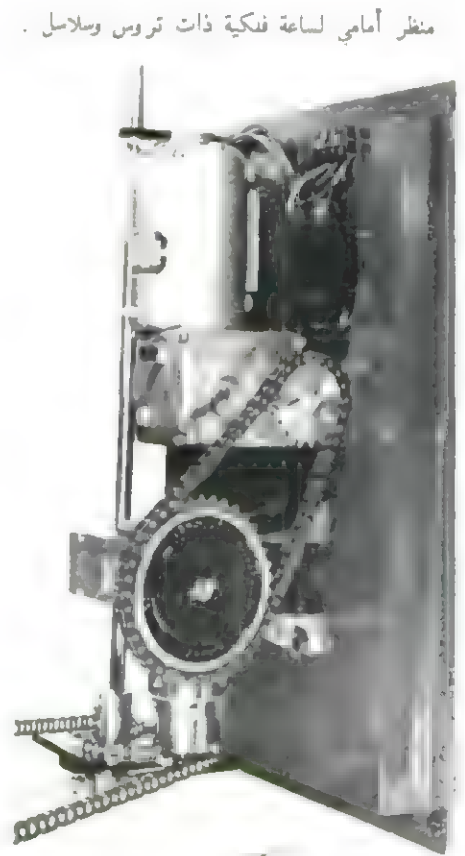
آنذاك فهي « عجلة موازنة دوارة — Rotating Balance Wheel » يسيبرها ويضبط حركتها « جهاز المعايرة — Escapement » وهي في ذلك تماثل « ساعات الأبراج — Tower Clocks » التي شاع استعمالها في أرجاء أوروبا . والطريف في هذه الساعات أنها أخذت في التعقيد تدريجياً عن طريق اضافة وجوه وأقراص مدرجة عديدة يعين كل منها حدثاً خاصاً ، كالأعياد ومواقع الكواكب والبروج والنجوم الثابتة ، علاوة على تحديد انقضاء الساعات والأيام . وعلى الرغم من الدقة والاتقان وروعة التصميم وتعدد الأقراص التي اتسمت بها ساعات ذلك العصر ، فان مجرد عدم وجود عقارب للدقائق والثواني حتى على أجمل ساعات القرن السادس عشر شكلاً وأدقها صنفاً ، كان بمثابة نقطة سوداء في جهاز الساعات الآلي .

بيد أن ذلك النقص لم يلبث أن اختفى حين تم اختراع رقاص الساعة ، الذي يعود الفضل في ايجاده الى العرب ، الذين ضبطوا حركاته ونظموا ذبذباته ، ومن ثم انتقل الى أوروبا وأحدث تغييراً جذرياً في حقل صنع الساعات . ومع أن الفنان العبقرى « ليوناردو دافنشي — Leonardo da Vinci » أثبت رسماً تخطيطياً لـ « رقاص الساعة — Pendulum » في احدى مخطوطاته ، إلا أنه كان كمن عثر على جوهرة ثمينة ولم يعرف قيمتها الحقيقية ، فهو لم يقف على مزيته الأساسية وهي أن مدة التذبذب مستقلة عن وزن الرقاص والقوس التي تتحرك ضمنها ، الى أن جاء العالم الفلكي المشهور « غاليليو غاليلي — Galileo Galilei » الذي لاحظ تذبذب الثريات المعلقة في سقف كاتدرائية « بيزا — Pisa » تحت تأثير السمات الخفيفة ، فأوحى اليه حقيقة علمية مهمة وهي أن فترة التذبذب مستقلة عن درجة التذبذب ، وراح يدرس هذه المسألة ويضع المعادلات الرياضية لحركة رقاص الساعة ، ثم نشر نتائج أبحاثه عام ١٦٣٢ . وبعد وفاته صنع ابنه « فنشيزيو غاليلي — Vincenzo Galilei » نموذجاً لرقاص الساعة وجهاز المعايرة لضبط حركة الساعة .

الرس أول ساعة تعمل برقاص فقد صممها وصنعها العالم الفيزيائي الهولندي « كريستيان هيجنز — Christian Huygens » عام ١٦٥٧م ، وهو المشهور بالنظرية الموجية للضوء . ومنذ ذلك الحين أخذت التحسينات

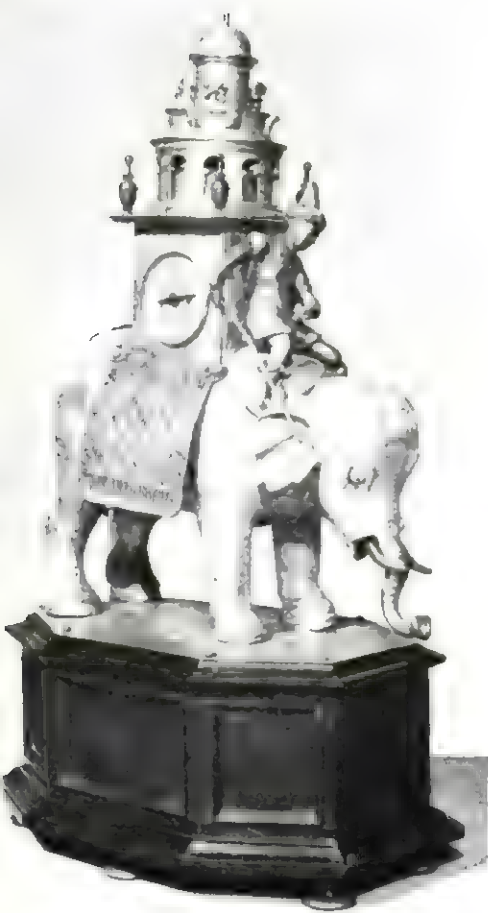


ساعة ثمينة يرجع تاريخها الى عام ١٥٧٠م تزنان تماثيل اغريقية .



منظر أمامي لساعة فلكية ذات تروس وسلاسل .





ساعة أوتوماتيكية على شكل فيل تتحرك عيناه مع كل نكة .

الرقمية ذات الدائرة الكهربائية الدقيقة التي استخدمت في الحاسبات الإلكترونية ، وهذه بدورها طغت على الساعات الآلية وحلت محلها . ولعل « ساعات الكوارتز - Quartz Clocks » الحديثة التي تنظم حركتها دائرة كهربائية دقيقة تجعل منها عقلا إلكترونياً لاعطاء الوقت هي الآن في طليعة الساعات العصرية ، فبلورات الكوارتز « المرو » ذات حساسية عالية للكهرباء ، إذ تتذبذب بدقة مذهلة ، تبلغ الجزء من الألف من الثانية . أما في الوقت الحاضر فإن صناعة الساعات تخضع لنوعين من التكنولوجيا ، كل منهما يسعى الى احراز قصب السبق في الوصول الى تطوير نوع من الساعات خال من العقارب والأقراص المدرجة التقليدية . ويعتمد النوع الأول من تكنولوجيا صناعة الساعات الحديثة التي أخذت تظهر في الأسواق على استخدام البلورات السائلة - Liquid Crystals »

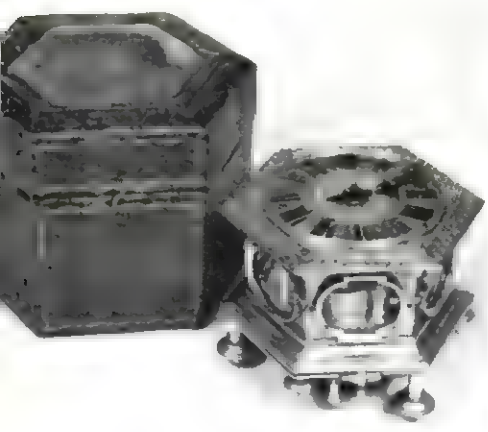
على رقاص الساعة تتوالى ، من حيث المادة المعدنية التي يصنع منها الرقاص ، ومدى تأثيرها بارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها ، وطول وقصر الرقاص ، والثقل المثبت في طرفه ، الى غير ذلك من أجزاء الساعة ، وخاصة جهاز المعايرة لضبط حركة الساعة الذي يعتبر بمثابة القلب النابض لها . ثم جاء عالم آخر أحدث اختراعه لنابض الموازنة - Balance Spring » في الربع الأخير من القرن السابع عشر انقلاباً في فن صناعة الساعات ، ذلك هو العالم الفيزيائي « روبرت هوك - Robert Hooke » الذي اشتهر بقوانين النوابض - Spring Laws » في الفيزياء ، وبذلك الاختراع أصبح بالإمكان صناعة ساعات دقيقة يمكن حملها . واستمر استخدام هذه الساعات نحو ٣٠٠ سنة أي حتى ظهور الساعة الكهربائية التي أخذت تطغى على الساعة ذات الرقاص . وفي الستينات من هذا القرن ظهرت الساعة



ساعة دقيقة الصنع من ألمانيا يعود تاريخها الى عام ١٧٠٠ م .

على ضفة نهر التيمز شمالي لندن تقوم ساعة فلكة عمرها ٤٠٠ سنة ، وهي في الواقع سبع ساعات في ساعة واحدة ، فبالاضافة الى اعطاه الوقت تبين التاريخ ، والشهر ، وعدد الأيام التي لنقصت من السنة منذ بدايتها ، وأطوار القمر .

ساعة رقمية تتحكم فيها اشارات راديوية تصدر عن قمر صناعي فوق خط الاستواء .







كانت الساعات في العصور الوسطى مظهرًا من مظاهر الترف والأبهة ، وهذه ساعة في ألمانيا تزدان بصور الحيوانات التي تبين شهور السنة .

ساعة شمسية قام بتصميمها مهندس من مدينة « بيتجهاييم » في جمهورية ألمانيا الاتحادية وهي تبلغ من الدقة في قياس الوقت حتى الثانية .

قطاعات على نحو معين لتشكل الأرقام المضيئة داخلها بتأثير التيار الكهربائي .  
أما النوع الثاني من تكنولوجيا صناعة الساعات الإلكترونية فيعتمد على استخدام الصمامات الثنائية ذات الإشعاع الضوئي الكهربائي — Electroluminescent Diodes في تشكيل الأرقام داخل الساعة ، كما هي

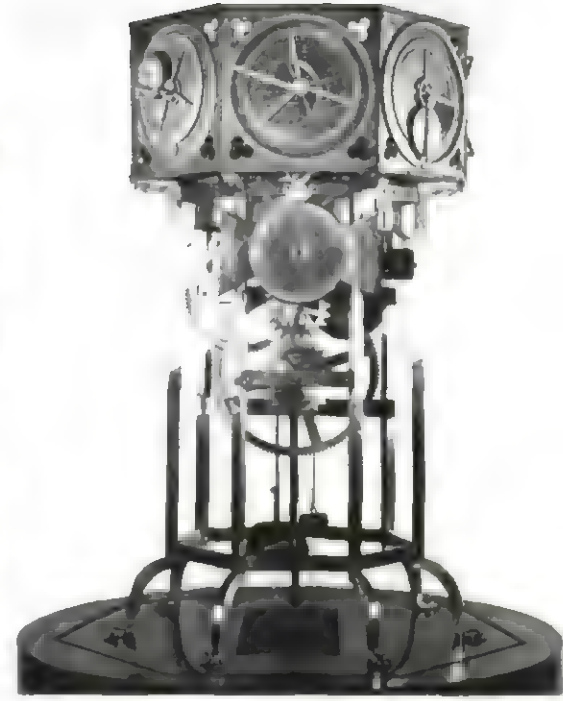
إذا ما وقع تحت تأثير مجال كهربائي . هذه الخاصية التي يتمتع بها البلور السائل جعلت من الممكن تسخيره في صناعة الساعات الإلكترونية ، وذلك بوضع مادة البلور السائل بين شريحتين من الزجاج متوازيتين ، يطل السطح الداخلي لكل منهما بطلاء قصديري خفيف لا تراه العين ، ثم يجري تقسيمه إلى

لتحل محل العقارب والوجوه المدرجة . فقد اكتشف العلماء مؤخراً أن بعض العناصر الكيميائية وتسمى البلورات السائلة يتحول لونها إلى الأبيض اللبني على درجات حرارة معينة ، ولذا رأوا فيها مادة ملائمة لاستخدامها في تعيين درجات الحرارة . بيد أن هناك نوعاً آخر من البلور السائل الذي يتحول إلى اللون الداكن





نموذج لمزولة شمسية مقامة في الهند .



نسخة طبق الأصل لأقدم ساعة آلية عرفها الانسان ويرجع تاريخها الى عام ١٣٦٤ م .

الحال في «حاسبات الجيب الألكترونية - Pocket Calculators» الشائعة اليوم . وهذا النوع من الساعات لا يزال يخضع للتحسين سيما وأنه يستهلك قليلاً أكبر من الطاقة ، وأن الأرقام تبدو صغيرة الحجم الى الحد الذي يصعب قراءتها في ساعات النهار . أحدث ابتكار في مجال صناعة الساعات وقياس الوقت فهو ساعة السيزيوم الذرية التي تعتمد على خاصية الاهتزازات الطفيفة التي تحدثها ذرات عنصر السيزيوم . ومع أن هذه الساعة تخلو من الأجزاء المتحركة إلا أن دقتها في قياس الوقت تبلغ ثانية واحدة في كل ٣٠٠٠ سنة . والدقة البالغة في قياس الوقت التي تتمتع بها هذه الساعة فقد استخدمت لاثبات صحة نظرية النسبية - Theory of Relativity للعالم المشهور «ألبرت اينشتاين» حينما وضعت ساعة ذرية في كل من طائرتين نفائتين انطلقتا في اتجاهين متعاكسين .

وهكذا نرى أنه أصبح لدى الانسان ساعات متطورة فائقة الدقة في قياس الوقت . ومع ذلك ليس هناك من يستطيع التكهن بما ستؤول اليه ساعة المستقبل .

بالحمد لله - هيئة التحرير



في الساحة العامة في مدينة «لامبور» في الملايو تقوم ساعة شمسية كالللال في شكلها ، ويستطيع زوار المدينة قراءة الوقت بوضوح في الأيام المشمسة .

تصوير : «أولتيكيت نيوز انترناشونال»



# مظاهر الطبيعة في شعر أبي تمام

بقلم: الدكتور أحمد الجوفي

## وصف المطر

استفتح أبو تمام قصيدته في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة بوصف لمظهر طبيعي طالما رآته عيناه هو المطر ، لا بالغزل ولا بنبكاء الاطلال كما صنع في بعض مدائحه ، وكما صنع كثير من سابقيه ومعاصريه ولاحقيه .

وهو في وصفه للمطر يبدأ بما رآه من منظره العام ومن آثاره المرتقبة . فيقول انه مطر غزير انهمر أياماً من سحابة ثرية بالماء ، سخية على الثرى ، وان الثرى ظمآن اليها مستغيث بها ، لأن آثارها في احياء الجديب معهوده ، حتى انه لو كان في طاقة ارض ان تسعى شكراً لنعمة وتقديراً لحميل لسعى المكان المقفر نحو هذه السحابة الثرة .

ثم وصف دفقات السحابة بالعذوبة والصفاء وارواء العطاش ، فلو استطاعت قلوبهم ان تنشط لعناقها لفعلت .

وانتقل من هذا التعميم إلى وصف المطر نفسه ، فقال ان بعضه يجري على الأرض ، وبعضه يتبعه فيجري وراءه ، ودفقات منه تتراكم في الجو ، ودفقات أخرى تنصب على الأرض . ثم انتقل إلى نتيجة المطر وآثاره ، قصور الزرع مخضراً ، والنبات رفاقاً والرياض نواضر ، والجذب قد احتجب وتوارى .

ومن الطبيعي أن يرحب أبو تمام بهذا الغيث رائحاً وغادياً ، ومصباً بالنهار او بالليل ، لأنه ينبوع الحياة والجمال في تلك البقاع .

وقد لجأ إلى التشخيص اذ تصور الرياض التي كانت قبل المطر قبيحة متوارية فصارت بعده مزهرة جميلة بادية اناساً كانوا يستخفون ويغطون رؤوسهم ووجوههم ثم كشفوا عنها ، وتصور الجديب

لأبو تمام حبيب بن أوس الطائي شاعراً موهوباً ، مرهف الحس ، فوار العاطفة ، جياش النفس ، دقيق الملاحظة ، بعيد الخيال ، قديراً على التعبير عن فكره وعلى تصوير ما يجول بنفسه .

ويبدو من دراسة شعره انه اقتدى في التصوير البياني ببشار بن برد . ومسلم بن الوليد ، والحسن بن هانيء ، وان كان اعجابه بأبي نواس أعظم . حتى انه كان يلقيه بالاستاذ وبالخاذق . وإذا كان قد جراه في طريقته البيانية فانه قد فاقه في وصف الطبيعة والحكمة والمديح والرثاء .

أبو تمام اذن احد شعرائنا القلة الذين استهوتهم مظاهر الطبيعة في السماء وفي الأرض ، فوصفوها ، واستمدوا منها الصور والألوان . ويظهر انه كان يربأ بحياته ان تكون محصورة في العمل والكسب والطعام والشراب والراحة والنوم بل أراد ان تكون فوق هذا كله جمالاً ومسرة ونشوة ، ففي اخباره انه كان يأخذ صلوات الأمراء والكبراء فينفقها في مجالي الغناء والموسيقى ، والرياض والأوجه الحسان . ولو انه وجه شاعريته إلى الطبيعة يصفها ويناجيها ويستلهمها ، وإلى النفوس يستكنهها ويناغيا ويرسمها ، وإلى الحكمة المتفلسفة يستزلفها من عليائها فيعرضها في أسلوب اخاذ . لو أنه فعل ذلك لاثرى الشعر أيما ثراء . لكنه انصرف إلى المدح انصرافاً لم يتح له الفراغ لذلك كله ، ولا الفراغ لبعض ذلك كله ، فخسر الأدب العربي خسارة جسيمة .

لهذا نجد الوصف في شعره تمهيداً لغرض ، أو ممتزجاً بغرض ، فلم يختص الطبيعة بقصائد مستقلة الا في حالتين ، ولو انه أفرد لوصفها قصائد مستقلة لأتى بالعجيب الرائع .

ع. ق. ج.



## الربيع

ولقد احتفى ابو تمام بالربيع ، فرسم له صوراً عدة . ففي إحدى مدائحه للمعتصم انتهر ان الزمان ربيع ، فصور الطبيعة تصويراً جميلاً خلاباً ، أعجبه من مناظر الربيع ما تتحلى به الأرض من خضرة ونضرة وزهر وثمر ، وان النهار مشمس ، والربا مكسوة بالازهار البيض كالأقمار .

والعام في نظره زمان للكد والعمل والكسب ، فاذا استهل الربيع صار زمنه مسرحاً للجمال ، ومتعة للنفوس . لأن الأرض تصنع من بطونها لظهورها ازهاراً تفتتح القلوب لجمالها ، فكم من زهرة يترقق الندى فوقها كأنه دمع منحدر . وهذا تشبيه غير جيد ، لأن وقع المشبه به وهو الدمع لا يلائم وقع المشبه وهو الندى فوق الزهر ، وذلك ان الندى الذي يترقق على الزهر او على أوراق الشجر يبعث اعجاباً ومتعة ومسرة ، على حين ان منظر الدموع يثير ضيقاً واشفاقاً وقد يسيل عبرة .

وصف الزهرات بأنها تتحرك أمام النبات فتبدو حيناً وتختفي حيناً ، وشبهها بالعذراء التي تظهر تارة ، ويحجبها الحياء تارة .

وبعد هذا ، وصف الوهاد والنجاد بأنها اكتست وازدانت فبدت في صفرة وفي حمرة كأنها رايات اليمن الصفرة ورايات مصر الحمرة . وفصل ما أجمله في ألوانها فقال انها كانت كالدر وهي اكمام قبل ان تنور ، فلما تفتحت الأكمام خرج نور أصفر كالزعفران ، ونور أحمر ، وهذا كله من صنع الله الباريء القدير الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه :

يا صاحبي تقصّياً نظريكما

تربيا وجوه الارض كيف تصوّر  
تربيا نهارة مشمساً قد شابه

زهر الربا فكأنما هو مقمر  
دنيا معاش للورى حتى إذا

جلى الربيع فانما هي منظر  
أضحت تصوغ بطونها لظهورها

نوراً تكاد له القلوب تنور  
من كل زاهرة ترقرق بالندى

فكأنما عين عليه تحدر  
تبدو ويحجبها الجميم كأنها

عذراء تلو تارة وتخضر (١١)  
حتى غدت وهداتها ونجادها

فتبين في خلع الربيع تبختر  
مصفرة عمرة فكأنها

عصب تيمن في الوعى وتمضّر (١٢)

إنساناً يتوارى ونجللاً ، وتصور الثرى انساناً يستغيث بالسحابة لتصب عليه ماءها :

ديمة سمحة القياد سكوب

مستغيث بها الثرى المكروب (١)

للو سعت بقعة لاعظام نعمي

لسمي نحرهما المكان الجديب

لذ شو بوبها وطاب فلو تستطيع قامت تعانقها القلوب (٢)

فهي ماء يجري وماء يليه

وعزالي تشا وأخرى تذوب (٣)

كشفت الروض رأسه واستمر المحل منها كما استمر المريب

فاذا السري بعد محل وجرجا

ن لديها يبرين أو ملحوب (٤)

ايها الغيث حي اهلاً بمغدا

ك وعند السرى حين توب (٥)

ووصف المزن في قصيدة أخرى بأنه اذا ما لمع برقه بشر الناس صادفاً بالمطر فأروى التلاع العطاش وكساها نباتاً وخضرة ، وانقذها من الجذب والفقر ، لأنه كريم اذا ما استضاف بلدة اكرم ضيافتها بدفقاته المنسكبة . ولقد استغاثت به القلاة الحرة التي انشق اديمها ، فجادها فالتأمت شقوقها ، واستوى اديمها ، وحسن منظرها .

وهذا المزن ساقته ريح الجنوب حاملا الخيرات للناس ، وزودته بالماء . واغرته بالأمطار ريح الدبور .

أما ريح القبول (٦) فقد رهبته ولم تهب تجاهه ، وأما ريح الشمال فقد تجنبته ، ولهذا دام طويلاً ، لأنها لو هبت عليه لفرقتة .

مزن اذا ما استطار بارقه

اعطى البلاد الامان من كذبه

يرجع حوى البلاد مترعة

ريتا ويثني الزمان عن نوبه

متى يصف بلدة فقد قرئت

بمستهل الشوبوب منسكبه (٧)

عاذت صدوع القلا به ولقد

صح اديم القضاء من جلبه (٨)

قد جلبته الجنوب فالدين والدينا وصافي الحياة في سلبه

وحرشته الدبور واجتبت

رياح القبول المبوب من رهه (٩)

وغادرت وجهه الشمال فقل

لا في نزور الندى ولا حقبه (١٠)

وهكذا فعل في ارجوزته التي مطلعها : لم ار غيراً جمه الدوبوب ، وفي ارجوزته التي أولها : حماد من نؤله حماد .

(١) ديمة : مطر يدوم أياماً أو سحابة مظرة . (٢) الشوبوب : الدفقة من المطر . (٣) العزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الرواية والمراد المصاب . (٤) يبرين وملحوب : مكانان موصوفان بكثرة العشب والكلا والخصب والوحش . (٥) حي : اقبل . (٦) الدبور : ريح تقبل الصبا . والقبول : ريح الصب . انصبا : تهب من مشرق الشمس اذا استوى الليل والنهار . (٧) متى يصف : متى يستضيف أو متى ينزل ضيفاً . مستهل : فيه رعد . (٨) الجلب : الأثر في ظهر الجبر . (٩) حرشته : أغرته بالأمطار . (١٠) حقبه : متأخرة . (١١) الجميم : البسات الكثيف . (١٢) عصب تيمن وتمضّر : رايات يمنية ومضرية .



من فاقع غصن النبات كأنه  
درّ يشقق قبل ثم يزغفر  
او ساطع في حمرة فكان ما  
يدنو اليه من الهواء معصفر  
صنع الذي لولا بدائع لطفه  
ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر  
وله أبيات في وصف الربيع مطلعها :

احسن بايام العقيق وأطيب  
والعيش في اظلافسن المعجب  
على ان مظاهر الطبيعة كانت تملأ نفسه ، فلهج بها اراد ان يرد  
في مديحه وفي غزله وفي فخره وفي وصفه . وحسبنا ان نجتزيء ببضعة  
نماذج . ففي مدحة من مدائحه لمحمد بن عبد الملك الزيات انه أجرى  
في كل مرتفع نهراً سلسلاً من فيض كفيه ، وان عطائه مناجم نال  
الناس من معادنها ، وانهم بنوا حصوناً في ظلاله ، وانه احيا آمالهم  
فاخضرت وماست غصونها . والاستمداد من الطبيعة بين في هذه  
الكلمات : تلعة ، جعفر ، سلسل ، معدن ، ظلال ، غصون ، خضر :  
أبا جعفر اجريت في كل تلعة

لنا جعفرنا من فيض كفيك سلسلا (١٣)  
فكم قد الرنا من نوالك معدنا

وكم قد بنينا في ظلالك معقلا  
رجعت المني خضراً تشقى غصونها

علينا واطلقت الرجاء المكبلا  
وفي غزله استخدم من الطبيعة هذه الكلمات : خضرة ، الروض ،  
الزهر ، الشباب ، الماء ، العيون ، التفاح ، في قوله :

يا هذه اقصري ما هذه بشر  
ولا الخرائد من اترابها الآخر

خرجن في خضرة كالروض ليس لها  
الا الحلي على اعناقها زهر

صب الشباب عليها وهو مقبل  
ماء من الحسن ما في صفوه كدر

لولا العيون وتفاح الخلود اذاً  
ما كان يحسد اعمى من له بصر

وفي فخره بحسبه في قبيلة طيء ، وفي زهوه بشعره وردت كلمات  
من الطبيعة هي : نجوم ، جبال ، غيوث ، سيول ، محل ،  
فيض ، وكر ، طير ، في قوله :

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم  
وسني فيهم وهو كهل وبافع

نجوم طواليع جبال فوارع  
غيوث هواميع سيول دوافع

فأي يد في المحل مدت فلم يكن  
ها راحة من جودهم واصابع

بهاليل لو عانت فضل اكفهم  
لأبقت ان الرزق في الارض واسع

فكم شاعر قد رامني فقدعته  
بشعري فأمسى وهو خزيان ضارع (١٤)

كشفت قناع الشعر عن حر وجهه  
فطيرته عن وكوره وهو واقع  
وفي وصفه غير الطبيعة استمد من الطبيعة ، فجاء في وصفه  
للقلم الكلى ، والمفاصل ، ولعاب الأفاعي ، وعسل النحل ، والطل ،  
والوابل ، والشعاب الخواغل وغيرها :

لك القلم الاعلى الذي بشبابه  
تصاب من الامر الكلى والمفاصل (١٥)

لعاب الأفاعي القناتلات لعابه  
وآزني الجنى اشتارته ايد عواسل (١٦)

له ريقة طل ولكن وقعها  
بآثاره في الشرق والغرب وابل (١٧)

فصيح اذا استنطقته وهو راكب  
واعجم ان خاطبته وهو راجل (١٨)

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت  
عليه شعاب الفكر وهي حوافل

اطاعته اطراف القنا وتقوضت  
لنجسواه تقويض الخيام الجحافل (١٩)

على انه لم يكتف بالاستمداد من الطبيعة صوراً او الفاظاً ، بل انه  
كثيراً ما كان يجانس بين كلمة من الطبيعة وكلمة من غيرها ، كقوله :

سحاب متى يسحب على التبت ذيله  
فلا رجل ينبو عليه ولا جمعد

وكثيراً ما كان يطابق بذكر الضدين ليزيد الفكرة وضوحاً وتأثيراً  
في النفس كقوله في وصف سحابة :

سيارة مسححة القياد  
مسودة مبيضة الابدادي

وقد يوازن بين ممدوحه والغيث ، فيفضل الممدوح ، لأن  
الغيث الذي نزل في ذلك الوقت عجيب اذ كان في غير أوانه ،

ففع الناس ، أما الممدوح فأعجب ، لأنه يعطي في كل أوان ،  
ولأن الممدوح يهش وهو يعطي غير عابيء بكوارث الدهر ،

لأن كرمه بلسم لها :  
ايها الغيث حي اهلاً بمغداك وعند السرى وحين ثروب

لابسي جعفر خلّاق تحكيهن قد يشبه النجيب النجيب  
انت فينا في ذا الأوان غريب

وهو فينا في كل وقت غريب  
ضاحك في نواب الدهر طلق

وملوك ييكون حين تنوب  
خلّق مشرق ورأي حسام

ووداد عذب وريح جنوب  
كلفه بالصور ، وشغفه بالتشبيه والاستعارة والكتابة

والخيال لا يسلكه في عداد شعراء الرمية ، وان كانت  
الاستعارة والكتابة من الرمز ، لأن شعراء الرمية يرمزون إلى حالات

التفوس بألفاظ وعبارات واشياء مادية ، غير واصلين بعلاقة ما بين  
الرموز وما ترمز اليه ، معتمدين على خيال القارئ واحلامه وهواجس

نفسه ، ولم يكن أبو تمام على شيء من هذا المذهب الذي ظهر  
في الغرب في العصر الحديث ●

د. أحمد الحوفي - القاهرة

(١٣) جعفر : بهر كثير اداء . سلسل : سائغ . (١٤) قذعته : هجوته . ضارع : ذليل . (١٥) شباهه : حده وسنه الكلى والمفاصل : كندية عن  
الجوهر من المعاني . (١٦) الارى : عسل النحل . الجنى : الثمار . اشتارته : جتته عواسل : جانية للعل . (١٧) رنقة : مداد . طل : المراد مداد  
قليل . وابل : مطر غزير . (١٨) راجل : ضد راكب . (١٩) الجحافل : جمع جحفل وهو الجيش .



# الخزاف واليقين

للشاعر: محمود عارف

قالوا هنا ماذا وجد  
قد ران فوق وجودنا  
ونطاولت أشباحه  
ماذا تقول وقد دهمنا  
قبل المخاض .. وبعمده  
وتعاورته مخاوف  
يجبا على قلبي الحسرا  
ما خطبته .. ضاع المرا  
وتعطلت خططتنا  
وبللت لغة الثنا  
لم يبق إلا الوهم والمخد  
صبح الرجاء ، أحاطه  
ويل لمن عبث به  
ويل لمن جرفه عدو  
قد ضاع معيار الطمو  
وعلى ساطع الموج ضا  
والخوف .. يكمن في الأواذي

ت فقلت .. وهم متبين ؟؟  
وكانه عبث السنين !  
فوق المعابر .. لا تبين !!  
للريب .. المعين ؟؟  
عاش المواجه .. والظنون !  
والخوف مزدجر الغين !  
فة .. والتخبط في الشؤون !  
س .. من الرجال القادرين ؟؟  
سقي .. في بنود الحاسبين !  
هم .. في اللسان وفي الوتين !!  
وع .. في دنيا الشجون !  
ليل ، تغلف بالأنسين !!  
ريخ التلر ، والفتون !!  
ي ، الحالمين التائهين !!  
ح .. وجف شلال الخنين !  
عت ، آميات السابحين !  
والعبور هو اليقين !!!

محمود عارف - جدة



صَفْحَاءُ مُشْرِقَتَا  
مِرْ

تَارِيخِ الْمَسْجِدِ وَأَعْمَارَتِهَا  
فِي مَكَّةَ الْمَدِينَةِ





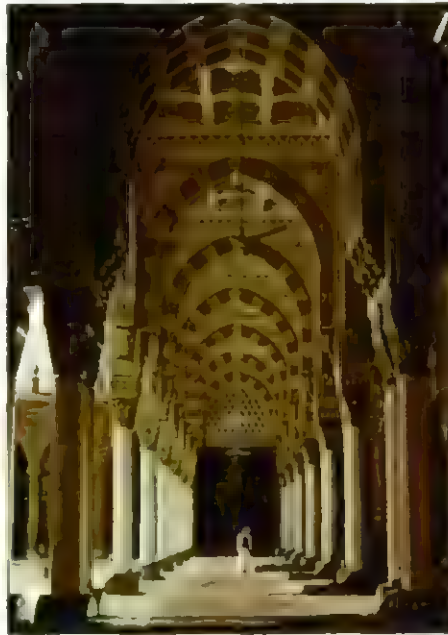
الأثرية في الحجاز شواهد على بدء الرسالة المحمدية والدعوة الإسلامية التي ملأت الأرض بخيرها وعدلها . وإذا كانت هذه المساجد الأثرية ، معدودة في جنوبي الحجاز ، فهي في الشمال ، وخاصة في المدينة المنورة وضواحيها ، كثيرة وعديدة . ولا غرو في ذلك ، فمدينة الرسول الكريم كانت العاصمة الأولى للإسلام ومنها انطلق المسلمون الأوائل الى مشارق الأرض ومغاربها ينشرون الدين الاسلامي الحنيف ويرفون لواءه عالياً خفاقاً فوق ربوعها . ومن المدينة المنورة ذاتها انطلق الرسول الكريم ، في صحبة الأبطال ، الى مكة المكرمة . . . يفتحها ويظهرها من الشرك والمشركين . « ما كان للمشركين أن يعبروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون » (١) . ولقد جعل الله الكعبة المشرفة أول بيت عبادة على الأرض « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » (٢) . فكان الناس ، وسيظلون الى ما شاء الله ، يعبدون خالقهم جل شأنه في ذلك البيت العتيق ، وفي سائر بيوت الله ، ويسألونه العفو والعافية والنجاة وهم في صلاتهم وطوافهم حول الكعبة المشرفة « ثم ليقيموا تقىهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (٣) .

وعندما أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ببناء البيت العتيق استجاب ابراهيم وولده اسماعيل ، عليهما السلام ، لأمر الله ، وأخذوا في بناء الكعبة وهما يدعوان الله أن يتقبل منهما عملهما « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » (٤) .

وقد ظلت الكعبة المشرفة بعد ذلك بناء قائماً في ساحة فضاء من أرض مكة المكرمة لا يجرؤ أحد على البناء قريباً منها تعظيماً لها واجلالاً ، حتى آل أمر مكة الى قصي بن كلاب فسمح للناس بالبناء حول البيت فأقاموا منازلهم حوله آخذين في اعتبارهم أموراً ثلاثة : أن تكون بين منازلهم والبيت الحرام ممرات توصل الى دائرة الطواف حول الكعبة ، وأن تكون منازلهم دائرية الشكل . تختلف عن بناء الكعبة المربع ، وأن يكون ارتفاع تلك المنازل دون ارتفاع بناء الكعبة . ومع الزمن ازداد عدد المنازل حول البيت العتيق ، وصار لا يفصله عنها سور خاص ولا جدار وإنما كانت جدران المنازل من حوله

بمشابه الأسوار الخاصة له ، وكانت الممرات التي بين المنازل ، المفضية الى البيت الحرام ، بمثابة مداخل اليه .

وما يذكره المؤرخون في شأن ترميم الكعبة واصلاحها بعد بناء سيدنا ابراهيم ، عليه السلام ، أن سيلاً عظيماً قد أصاب الكعبة في أيام قريش فهدمها ، وكان الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الخامسة والثلاثين من العمر ، وأن قريشاً قد اجتمعت لبنائها واتفقت على عمارتها ، وانهم « لما انتهوا الى موضع الحجر اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعونه في موضعه ، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا للقتال ، ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطالع من باب المسجد



رواق واسع ذو عقود جميلة مفروش بالسجاد الفاخر كغيره من أروقة الحرم النبوي الشريف .

يقضي ، فخرج عليهم النبي ، صلى الله عليه وسلم فاحتكموا اليه فقال : هلموا ثوباً ، فأني به فوضع الحجر فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا ، حتى اذا رفعوه الى موضعه أخذ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الحجر بيده فوضعه في الركن ، فرضوا بذلك وانتهوا من الشرور ، ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل ، وأن لا يدخل فيها الا من أحبوا » (٥) .

وبطبيعة الحال لم تكن ساحة البيت واسعة في ذلك الحين ، وما كانت هناك حاجة تدعو الى توسعتها ، فقد كان الوافدون الى البيت ، في الجاهلية ، يطوفون حول الكعبة دون مشقة نظراً لأنهم كانوا من العرب فقط ، وكانت غايتهن الطواف وحسب . وكذلك لم تكن هناك ضرورة لتوسعتها في أيام الاسلام الأولى وعلى زمن الرسول الأعظم وخليفته أبي بكر . فقد كانت دائرة الطواف لا تزال من السعة بحيث يستطيع الناس أداء مناسكهم دون مشقة . ولما أخذت رقعة البلاد الاسلامية في الاتساع وازداد عدد الحجاج المسلمين الذين يؤمّون البيت العتيق لأداء فريضة الحج أخذت دائرة الطواف حول الكعبة تضيق بهم ، وصار لا بد من توسعتها وزيادتها حتى تستوعب هذه الأعداد الكثيرة من المصلين والطائفين ، فكانت الزيادة الأولى ، في الاسلام ، في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

وفي العام السابع عشر الهجري قدم عمر ، رضي الله عنه ، الى مكة في غير موسم الحج لما بلغه أن سيلاً عظيماً اجتاحت المسجد الحرام من جهة المدعى . ولما شاهد الوضع على طبيعته أشار باصلاح ما تهدم وبشراء بعض الدور المجاورة للمسجد وهدمها وادخل ساحتها في أرض المسجد ، كما أمر ببناء جدار حوله فيه مداخل تفضي الى الحرم ، ووضع مصابيح فوقها توقد أثناء الليل . ثم أمر باقامة سد يحول السيل المنحدر من جهة المدعى الى مجرى وادي ابراهيم .

وفي عام ٥٢٦ . أشار عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، بشراء دور أخرى وهدمها وادخل أرضها في ساحة المسجد الذي أخذ يضيق بالمصلين القادمين من مختلف الأقطار ، كما جدد البناء القديم وأحدث فيه رواقاً مسقوفاً .

وفي عام ٥٦٤ . جدد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة المشرفة ، وبعد عامين اشترى بعض الدور القريبة من المسجد وهدمها وأدخل أرضها ضمن ساحة الحرم .

وبعد حوالي ٢٧ عاماً جدد الوليد بن عبد الملك عمارة المسجد الحرام وسقف أروقته بالساج المزخرف وزاد في مساحته ، كما جلب اليه أعمدة من الرخام من بلاد مصر والشام وقواه من الداخل .



بدأت هذه التوسعة ، في عام ١٣٧٥ هـ . وقد قسم المشروع الى ثلاث مراحل شملت الجهات الأربع للبيت العتيق والمسعى والمنائر . وبعد أعمال الهدم الضرورية بدىء باقامة المسعى بطابقيه ، ويبلغ طوله ٣٩٤ متراً وعرضه ٢٠ متراً وارتفاع الطابق الأول منه ١٢ متراً والثاني تسعة أمتار . كما أقيم في كل من جهتي الصفا والمروة درج دائري وفوق كل منهما قبة ضخمة عالية ، كما جرى العمل لتحويل مجرى السيل واقامة عدد من الأقبية والعقود . وبعد ذلك جرى تسقيف القسم الثاني من الرواق الجنوبي بطابقيه الأول والثاني والأقبية . ويبلغ ارتفاع كل من الطابقين حوالي عشرة أمتار . ثم بدأ العمل في بناء الرواق الشمالي الذي يمتد من باب العمرة الى باب السلام وتكملة بقية الأروقة والمداخل والمرافق والممرات . وقد بنيت الجدران بطريقة خاصة بحيث كانت صفائح المرمر والرخام توضع في مواضعها من الشبكة الحديدية التي يتكون منها هيكل البناء ثم تشد الى بعضها بمشابك حديدية أيضاً ويصب الاسمنت بينها فتماسك وتصبح قطعة ثابتة ، كما زينت السقوف والعقود بحجر اصطناعي جميل . وفي واقع الحال يصعب على المرء أن يلم ، دون مشاهدة ، بروعة هذه التوسعة من حيث ضخامة البنيان والأعمدة الرخامية والنقوش الجميلة فهي ، في الحقيقة ، تجل عن الوصف ، أضف الى ذلك الشعور الروحاني الذي يشعر به الوافدون الى البيت من المصلين والطائفين والمكثفين .

لدى ظهور خلل في بعض الأروقة فأمر بهدمها وإعادة بنائها وجعل سقفها قباباً بدل الخشب . وقد تمت العمارة في عهد السلطان مراد الذي خلف والده السلطان سليم بعد وفاته ، وقد أنجزت العمارة بقبابها ومآذنها عام ٩٨٤ هـ .

**توسعة**  
تعتبر التوسعة السعودية أضخم توسعة جرت في تاريخ الحرم المكي الشريف . وقد جاءت هذه التوسعة بعد أن ظل الحرم على حاله أكثر من ألف وسبعين سنة ، أي منذ زيادة المقتدر بالله عام ٣٠٦ هـ وكانت مساحته حينذاك ٢٩ ١٢٧ متراً مربعاً .



وفي عام ١٣٩ هـ . أمر أبو جعفر المنصور العباسي عامله على مكة فزاد في مساحة المسجد وبنى فيه رواقاً أقامه على أعمدة رخامية .

وفي عام ١٦١ هـ . حج المهدي بن المنصور العباسي فشهد ضيقاً في المسجد فاشترى عدداً من الدور الواقعة في الجهتين الشرقية والشمالية وأضاف مساحتها الى الحرم . وبعد ثلاثة أعوام حج ثانية فأمر بزيادة مساحة المسجد من الجهة الجنوبية لتكون الكعبة في الوسط . غير أنه توفي قبل أن تنتهي العمارة فأتمها ابنه موسى الهادي من بعده وكان ذلك عام ١٦٧ هـ .

وفي عام ٢٨٤ هـ . أضاف المعتضد بالله العباسي ما بقي مما كان يسمى بدار الندوة ، وكان جزءاً منها قد أضيف الى المسجد مسبقاً ، وأجرى ما يلزم من الإصلاح والترميم . وتعرف هذه الاضافة اليوم بباب الزيادة .

وفي عام ٣٠٦ هـ . أمر الخليفة المقتدر بالله العباسي باضافة المساحة التي تعرف اليوم بباب ابراهيم ، وبها اكتمل البناء القديم ، وظلت مساحته كما تبدو في وقتنا الحاضر .

بعد زيادة المقتدر بالله ، لم تطرأ أي زيادات أخرى ولم تجر في المسجد أعمال عمرانية غير ما يقتضيه الحال من الإصلاح والترميم . وقد أجريت فيه عملتا ترميم كبيرتان . فيما بعد ، كانت الأولى بعد الحريق الذي وقع ، عام ٨٠٣ هـ . في أحد الأربطة الملاصقة للمسجد فأثى على الجانب الغربي منه وعلى رواقين في الجانب الشمالي وكان ذلك في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق . وكانت الثانية في عهد السلطان سليم العثماني ، عام ٩٧٩ هـ وذلك





واذا ما قورنت مساحة التوسعة السعودية بما كانت عليه مساحة الحرم نجد أنها بلغت أكثر من أربعة أضعاف ما كان عليه المسجد في أيام المتقدر بالله . إذ أصبحت مساحة المسجد بطابقيه وأقبيته بما في ذلك المسعى بطابقيه أيضاً أكثر من ١٦٠٠٠٠ متر مربع ، وكانت قبل التوسعة حوالي ٢٩٠٠٠ متر مربع كما أسلفنا . وصار المسجد بعد التوسعة يتسع لأكثر من ٣٠٠٠٠٠ من المصلين في آن واحد . والزائر للحرم المكي يدهش ، ولا شك ، بهذا البناء الرائع ، وبسعته ونقوشه وقبابه ، وبمآذنه السبع التي ترتفع نحو ٩٠ متراً في الفضاء الرحب .

عندما أذن الله ، جلت قدرته ، لرسوله الأمين بالهجرة من مكة الى المدينة ، مضى عليه الصلاة والسلام اليها وهو لا يلوي على شيء ، وكان بصحبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأخذوا يغذان السير أياماً وليالي حتى بلغا مشارفها . فوجدا الناس خارجين لاستقبالهما فرحين بقدميهما وهم ينشدون :

طلع السبدر علينا  
من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا  
ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فيها  
جئت بالأمر المطاع  
جئت شرفت المدينة  
مرحباً يا خير داع

## مسجد قباء

كان أول نزوله ، صلى الله عليه وسلم ، في ضاحية يقال لها « قباء » ، وفيها بنى عليه الصلاة والسلام المسجد المعروف بهذا الاسم وعمل فيه بيديه . وقد جاء في الحديث الشريف قوله عليه السلام في فضل الصلاة في مسجد قباء : « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة » .

وقد جدد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، مسجد قباء أثناء خلافته وزاد فيه . كما جدد من بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أثناء إمارته على المدينة في أيام الوليد بن عبد الملك ، وأقام فيه مئذنة . وفي عام ٨٤٣٥ . جدد الشريف أبو يعلى الحسيني . كما جدد ورسم وأصلح من بعد ذلك مرات عديدة كان آخرها عام ١٣٨٨ هـ . وذلك في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه .

## مسجد الجمعة

يدعى هذا المسجد كذلك لأن الرسول . صلى الله عليه وسلم ، صلى فيه بالناس أول جمعه . وكان ذلك أثناء توجهه ، عليه الصلاة والسلام . من قباء الى المدينة في الأيام الأولى لهجرته . ويعتبر مسجد الجمعة أحد المساجد المشهورة في المدينة . كما أن له عدة أسماء منها : مسجد الوادي . ومسجد عاتكة ، ومسجد الغيب . إلا أن « مسجد الجمعة » هو الاسم الغالب وهو المعروف به اليوم . ويقع هذا المسجد في وادي رانواء على الطريق المؤدي من مسجد قباء الى المدينة .

## المسجد النبوي

عندما اتجه الرسول الكريم بصحبه . بعد ما صلى الجمعة في المسجد الأنف الذكر ، كان كلما مر يقوم أمسكوا بناقته وطلبوا اليه النزول عندهم . فكان يقول لهم : خلوا سبيلها فانها مأمورة . وهكذا ظلت الناقة في طريقها حتى وصلت الى موضع المسجد النبوي فبركت فيه . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هذا المنزل ان شاء الله : ونزل عنها .

وفي تلك البقعة الطاهرة من أرض المدينة أقام الرسول الكريم مسجده في شهر ربيع الأول من السنة الأولى لهجرته . وقد اشترك في بنائه



من مسجد النبي الشريف .

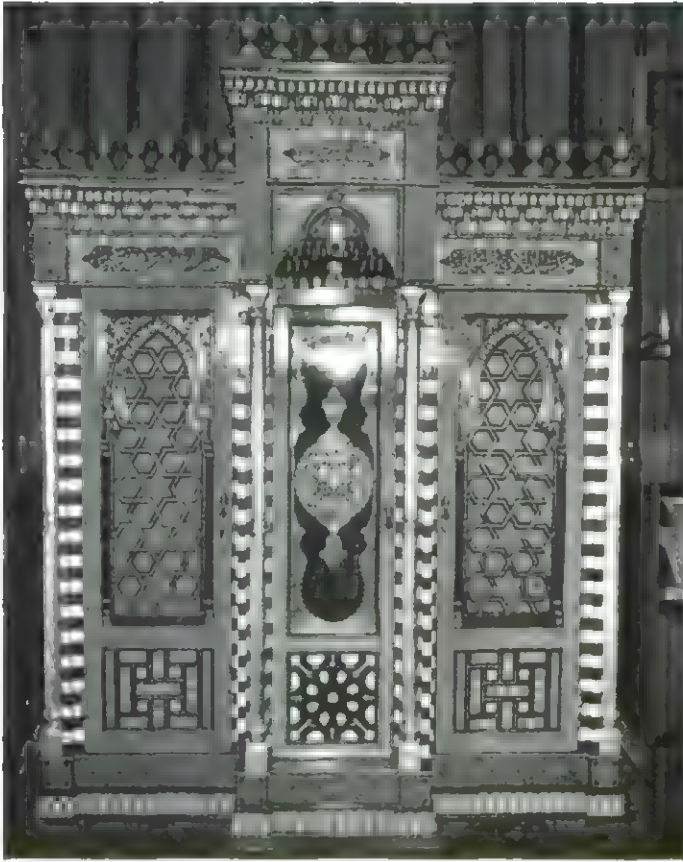




منظر خارجي للمسجد النبوي الشريف ويبدو في المقدمة جانب من المظلات التي أضيفت الى المسجد .

احدى الزخارف التي تزين قباب المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة .





أحدى خزانات مكتبة المصحف مزدانة بالنقوش البديعة وهي مملوءة بنسخ  
محصونة من المصحف الشريف



حائط من مسجد الغمامة في وسط المدينة .



المصحف الشريف الكبير في المكتبة ويبلغ طوله ١٤٢ سم وعرضه ٨٠ سم ٠ وكتب عام ١٢٤٠ هـ .





مسجد أبي بكر وهو في المناخة .



مسجد عمر بن الخطاب ، في وسط المدينة ، وهو غير الموجود في منطقة المساجد الستة .

بنفسه ، فكان ينقل الحجارة واللبن وهو يردد :  
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار  
والمهاجرة .

وما هي إلا أيام حتى ارتفع بناء المسجد  
وكان أساسه من الحجارة وجدرانه من الطين  
واللبن ، وجعل له ثلاثة أبواب ، ثم زاد فيه  
الرسول الكريم ، بعد غزوة خيبر من الشرق  
والغرب والشمال فبلغت مساحته ٢٤٧٥ متراً  
مربعاً ، وكان ذلك في السنة السابعة بعد  
الهجرة .

وبعد حوالي عشر سنين زاد فيه الخليفة  
الفاروق عمر بن الخطاب فصار مساحته  
١٢٠×١٤٠ ذراعاً ، وزاد في عدد أبوابه  
فصار ستة أبواب ، وكان بناؤه أيضاً من  
الطين واللبن وسقفه من الجريد وأعمدته من  
الخشب والتخيل .

وفي عام ٢٩ للهجرة أعاد عثمان بن عفان ،  
رضي الله عنه ، عمارة المسجد النبوي ، وبنى  
فيه رواقاً جعل أعمدته من الحجارة وصب فيه  
الحديد والرصاص وجعل سقفه من خشب الساج ،  
كما زاد في مساحة المسجد من الجهات التي  
زاد فيها عمر بن الخطاب ، وأغلق بابين من  
الأبواب الستة فصار للمسجد أربعة أبواب  
فقط .

وظل المسجد على حاله لم تجر عليه أية  
توسعة حتى عهد الخليفة الأموي الوليد بن  
عبد الملك ، الذي أولى تعمير المسجد عناية  
فائقة ، وكان أمير المدينة في عهده ، عمر  
ابن عبد العزيز ، الذي أشرف على أعمال  
الإنشاء والتعمير . فزاد في المسجد من ثلاث  
جهات الغرب والشرق والشمال ، كما أدخل  
حجر أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ،  
في التوسعة ، واقتطع جزءاً من حجرة أم  
المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، وأضافه إلى  
المسجد من ناحية الروضة الشريفة . وقد شيد  
المسجد بالحجارة والجص ، وعملت أعمدته من  
حجارة صب فيها الحديد والرصاص ، كما عمل  
سقفه من الساج ، وقد أستعين في تجديد هذه  
العمارة بعمال مهرة من مسلمي الروم فأجادوا  
في التعمير والتزيين . وقد استغرق العمل في  
العمارة حوالي ثلاث سنين ، من عام ٨٨ هـ  
حتى عام ٩١ هـ .

ومن بعد الخليفة الأموي جاء الخليفة  
العباسي المهدي بن المنصور فطلب إلى أمير  
المدينة في ذلك الحين جعفر بن سليمان أن



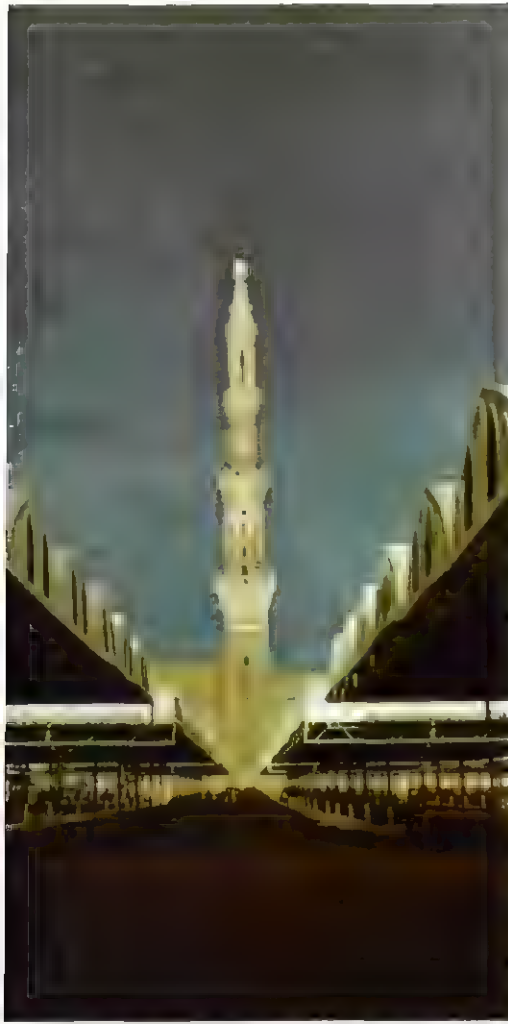
يقوم هذا المسجد الأثري في قمة جبل « أبو قبيس » المشرف على مكة المكرمة .



بسم الله الرحمن الرحيم







أحد مآذن الحرم النبوي الأربع التي ترتفع نحو ٧٠ متراً في الفضاء .



أحد الأروقة في المسجد النبوي تزينه الثريات الجميلة

والمآذن . وفي سنة ٨٨٦ هـ . شب حريق كبير فأرسل الملك قايتباي الأمير سنقر الجمالي ومعه مئة من الصنائع المهرة فأعادوا تعمير المسجد وصنعوا له منبراً جديداً وبنوا فيه محراباً مجوفاً وزينوا ذلك وزخرفوه بزخرفة جميلة .

ولما آل الأمر إلى آل عثمان ، قام عدد من سلاطينهم بأعمال إصلاح وتزيين كثيرة . ففي سنة ١٢٦٥ هـ بدأ السلطان عبد المجيد في مشروع كبير لعمارة المسجد انتهت في عام ١٢٧٧ هـ . كما أرسل أشهر الخطاطين في استنبول ، في ذلك الحين ، وهو الشيخ عبد الله زهدي ، فلبث ثلاث سنوات وهو يكتب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على جدران المسجد ، وهي التي نراها حتى يومنا هذا . ويقال أن نفقات العمارة والتزيين قد بلغت ثلاثة أرباع مليون جنيه عثماني . وكانت تلك هي العمارة الأخيرة قبل التوسعة السعودية .

## المآذن والمحاريب

كان عمر بن عبد العزيز أول من أنشأ مثذنة في المسجد النبوي ، ولم يكن فيه مآذن على عهد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين من بعده . وقد أنشأ عمر بن عبد العزيز أربع مآذن . واحدة في كل زاوية . والمآذن الرئيسية الموجودة بالمسجد الآن هي : مثذنة قايتباي ، مثذنة باب السلام ، مثذنة باب الرحمة ، المثذنة المجيدية . وكذلك لم يكن على عهد الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، محراب مجوف . وكان عليه الصلاة والسلام يصلي في مكان المحراب الكائن في الروضة الشريفة أو على مقربة منه ثم أقيم محراب ثان في حائط المسجد القبلي ، ومحراب ثالث في غربي المنبر فروع للتهجد ، فخامس أقيم في جنوبي المحراب الرابع .

## المسند

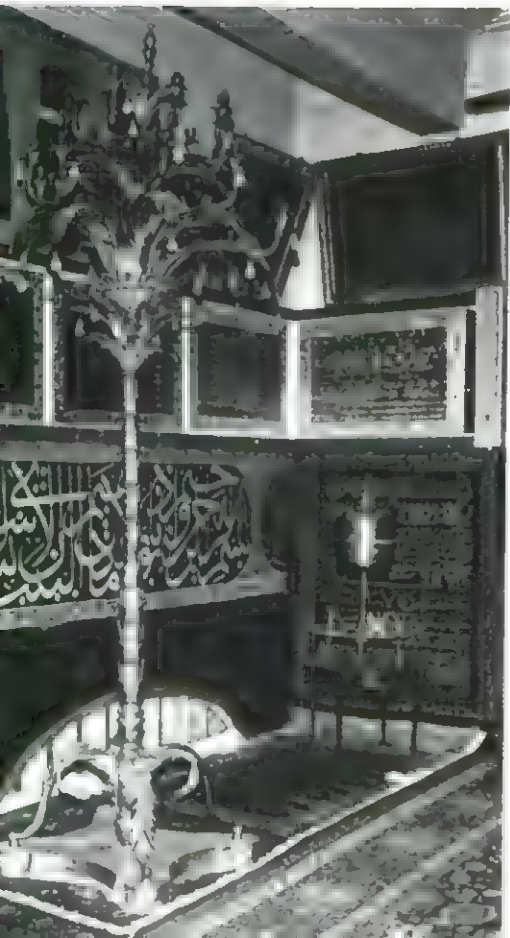
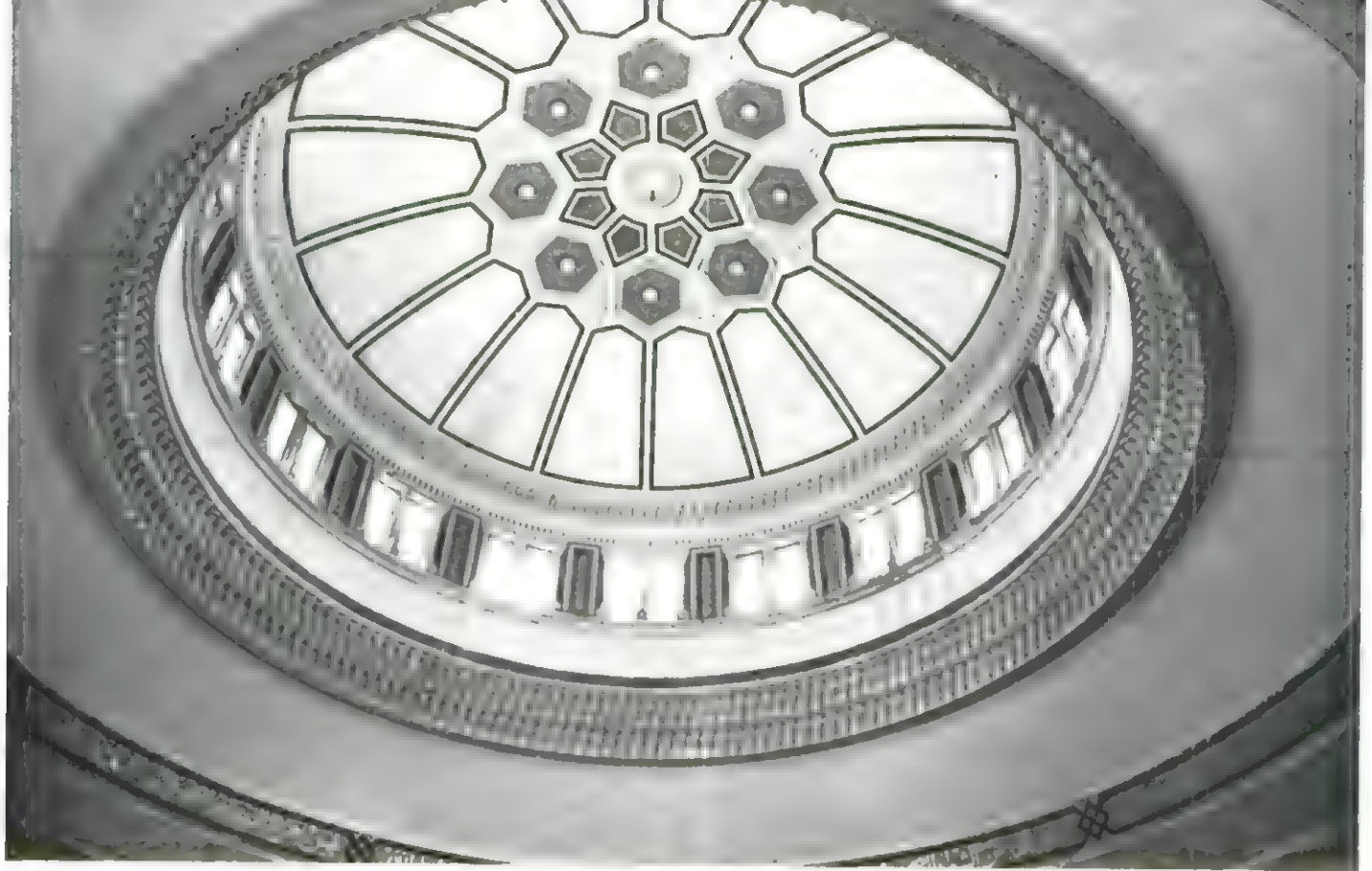
كان عليه الصلاة والسلام يخطب غير مستند إلى شيء ، ثم خطب مستنداً إلى جذع نخلة ثم أقيم له منبر من خشب ، وقد زاد فيه وأصلحه مروان بن الحكم . ولما شب الحريق في المسجد عام ٦٥٤ هـ ، احترق المنبر ، أرسل المظفر صاحب اليمن منبراً جديداً عام ٦٥٦ هـ . وضع مكان المحترق . ثم استبدل ذلك المنبر بعدة منابر أخرى ، واحداً بعد الآخر ، حتى كان عام ٩٩٨ هـ . عندما أرسل السلطان مراد منبراً جديداً هو الذي لا يزال قائماً حتى اليوم .



أحد المداخل الرئيسية للمسجد النبوي الشريف .

يقوم بتوسعة المسجد النبوي فزاد في مساحته حوالي مائة ذراع من الناحية الشمالية ، واستغرق العمل فيها حوالي أربع سنوات من سنة ١٦١ - ١٦٥ هجرية .

بعد ذلك لم تحدث زيادة تذكر على المسجد مدة تقرب من ٥٠٠ عام . وعندما شب حريق كبير والنهم سقف المسجد كله عام ٦٥٤ هـ . أمر الخليفة المعتصم بالله بإعادة عمارته عمارة شاملة ، وتبعه في ذلك الملك المظفر ، ثم الملك الظاهر سلطان مصر الذي تمت العمارة في عهده عام ٦٧٠ هجرية على وجه التقريب . وفي عام ٧٢٩ هـ . أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمره بزيادة رواقين في المسجد وبناء مثذنة رابعة ، وكان للمسجد ثلاث مآذن فقط . وفي سنة ٨٧٩ هـ . أجرى الملك الأشرف قايتباي ترميمات كبيرة شملت الأعمدة والسقف







تخت شاه اسماعیل در حرم شاه اسماعیل



مسجد قباء في المدينة المنورة وهو أول مسجد أسس على التقوى .



مقام ابراهيم في الحرم المكي الشريف .

وبإضافة التوسعة السعودية ، وهي أكبر توسعة جرت في تاريخ المسجد ، أصبحت مساحته الاجمالية ١٦٣٢٦ متراً مربعاً ، أي أن التوسعة السعودية ، بلغت أكثر من ستة آلاف متر مربع .

وما كادت التوسعة السعودية الآتفة الذكر تتم حتى روعي الاستمرار في ازالة بعض الدور والبنائات الواقعة في الجهة الغربية من المسجد وتمهيد مكانها ، فصارت هناك ساحة واسعة ممهدة فوقها مظلات بيضاء جميلة تقي المصلين الحر والمطر اذا ضاق بهم المسجد في أيام الحج والجمع .

وبما تجدر الإشارة اليه كذلك أنه يوجد في المسجد النبوي ، فوق باب الصديق ، مكتبة قيمة خاصة بالمصاحف المخطوطة ، والخطوط النفيسة ، ومن بين هذه المصاحف مصحف كبير يزيد وزنه على ١٥٤ كيلوغراماً وطوله ١٤٢ سنتيمتر وعرضه ٨٠ سنتيمتراً وقد كتبه الخطاط غلام محيي الدين عام ١٢٤٠ هـ . وهناك أيضاً مصحف صغير مخطوط يبلغ طوله

الأنقاض حتى أوائل عام ١٣٧٢ هـ . وفي ربيع الأول من عام ١٣٧٢ هـ . أقيم احتفال كبير لوضع الحجر الأساسي في التوسعة حضره الآلاف من المواطنين والضيوف ومثلي الدول الاسلامية .

وسارت أعمال البناء والتعمير على قدم وساق ، وبلغ عدد الفنيين والعاملين في عمارة المسجد أكثر من ١٧٠٠ شخص . كما أحضرت من أجل العمارة معدات ورافعات ضخمة وسيارات وجرافات من مختلف الأنواع . وقد أنشئ معمل خاص لصنع « المزايكو » في منطقة آبار علي نظراً لتوفر المياه هناك . وأثناء ذلك أقيمت مبان سكنية ومخازن في الجهة الغربية ليكون ريعها وفقاً على الحرم النبوي الشريف .

وبعد ثلاث سنوات من العمل الجاد المثمر تمت التوسعة على نحو ما تشاهد اليوم ، وأقيم للمناسبة احتفال كبير في اليوم الخامس من ربيع الأول عام ١٣٧٥ ، حضره جلالة المغفور له الملك سعود ، ووفود تمثل الدول الاسلامية وجمهور كبير من المواطنين والأهالي .

## المسجد النبوي قبل التوسعة السعودية

كانت مساحة المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٤٧٥ متراً مربعاً ، فزيد فيه في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ١١٠٠ متر مربع ، وفي عهد عثمان بن عفان . رضي الله عنه ، ٤٩٦ متراً مربعاً ، وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ٢٣٦٩ متراً مربعاً ، وفي عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور ٢٤٥٠ متراً مربعاً ، وفي عهد الملك الأشرف قايتباي ١٢٠ متراً مربعاً ، وفي عهد السلطان عبد المجيد الثاني العثماني ١٢٩٣ متراً مربعاً . وبذلك أصبحت مساحة المسجد ١٠٣٠٣ أمتار مربعة .

## التوسعة السعودية

بدى بتنفيذ مشروع العمارة السعودية في شوال ١٢٧٠ ، فنألفت لجنة لتقدير قيمة الدور المحيطة بالمسجد التي تقرر هدمها وضم مساحتها الى المسجد . واستمرت أعمال الهدم ونقل





منظر ليل لاسد جوارب الحرم المكي الشريف



رواق القبة العظمى في المسجد الأموي  
دمشق

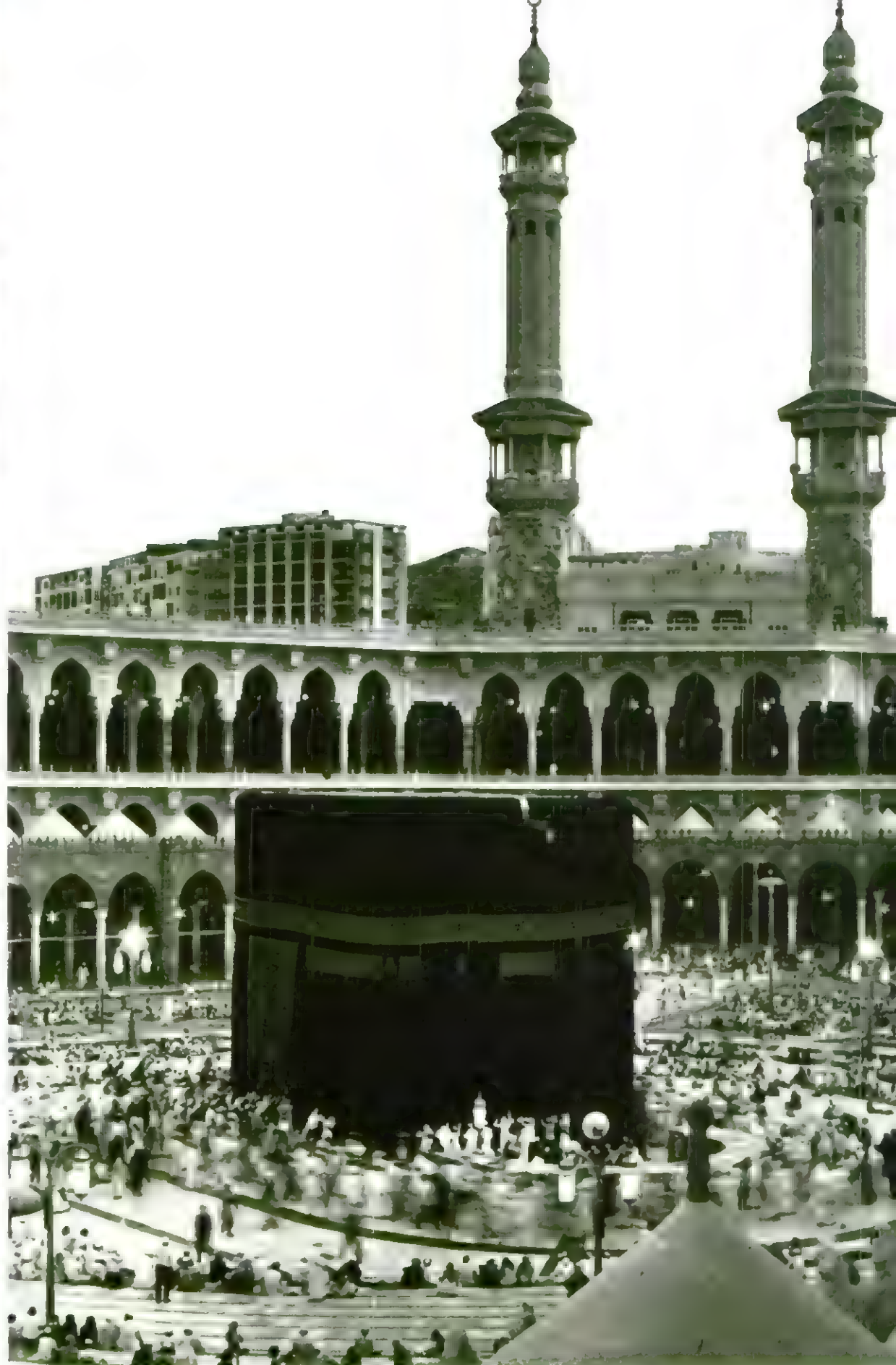




مملكة المساجد الممتدة الأثرية ، ويبدو في المقدمة على اليمين مسجد الفتح ، فمسجد سلمان الفارسي ثم مساجد أبي بكر وعمر وعلي وفاطمة .

المصحف الشريف الصغير ويبلغ طوله حوالي ١٥ سم وعرضه ١٠ سم وكتب عام ١٠١٨ هـ





تتوسط الكعبة المشرفة البيت الحرام ، وترى الناس  
طائفتين حولها ليل نهار ، يدعون ربهم ويستغفرونه .





زركشة ونقوش جميلة تحل أعلى الأعمدة الرخامية الضخمة بمسجد الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة المنورة .

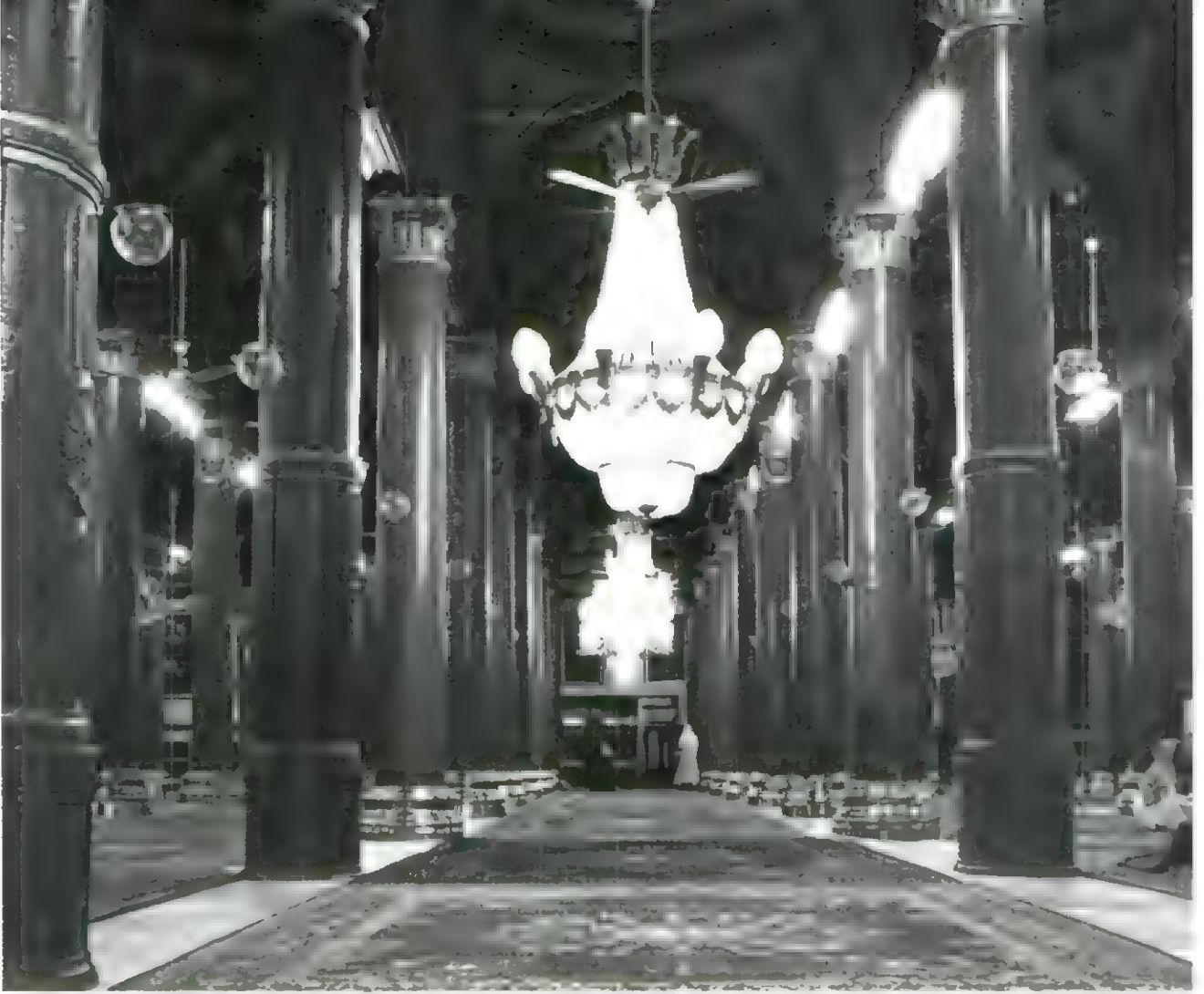


حوالي ١٥ ستمتراً وعرضه ١٠ ستمترات ، وقد كتبه الخطاط مهدي بن علي بن يوسف الداغستاني عام ١٠١٨ هـ . وفيها أيضاً مصحف بخط الخطاط محمد حسين الكازروني كتبه عام ١٥١٥ هـ . وآخر بخط أبو سعد محمد بن اسماعيل كتبه عام ١٥٤٩ هـ . ومعظم محتويات هذه المكتبة أهدي للمسجد النبوي في تواريف متفاوتة .

## بلد المساجد

سبق أن قلنا أن المدينة المنورة بلد المساجد ، إذ لا يكاد المرء يمر من ناحية إلا ويرى فيها أثراً للمسلمين الأوائل . وأغلب تلك الآثار مساجد أقاموها لعبادة الله الواحد الأحد . ومن هذه المساجد ما درست آثاره ومنها ما بقي شبيهاً بحالته الأولى أيام بنائه وإن امتدت إليه يد الترميم والتعمير ، ومنها ما تغير بناؤه وأعيد تشييده أكثر من مرة ولكنه ظل محتفظاً باسم من شيده أصلاً ، أو أقيم في عهده ، أو كانت له اليد الطولى في انشائه . ومن هذه المساجد الأثرية الماثورة :

محراب المسجد النبوي حيث يقف الإمام ليقرأ المصلين الذين غالباً ما تمتلئ بهم ساحات المسجد الرحبة .



منظر ليلي لداخل الحرم النبوي وقد أضيئت فيه الثريات الفضة بين الأعمدة الرخامية التي تقوم عليها قباب المسجد المزدانة أيضاً بالنقوش .

وهناك أيضاً الكثير من المساجد الأثرية الأخرى كمسجد « ذباب » أو « ذوباب » ويسمى الآن مسجد الراية ، ومسجد بني ظفر ، ومسجد السقيا ، ومسجد الاجابة ويقال له أيضاً مسجد بني معاوية ، ومسجد البحيرة أو مسجد السجدة . . ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى ركعتين في موضعه ومسجد سجدة طويلة جداً فسمي بذلك . ومن المساجد الأثرية كذلك مسجد سلمان الفارسي ، ومسجد أبي ذر الغفاري ، ومسجد بني ساعدة ، وهناك أيضاً مساجد بأسماء الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ●

الطبيب محمد الشيبك - هيئة التحرير

تصوير : شيخ أمين

ذلك الموضع ست ليال خلال محاصرته لبني النضير . وقد ذكر السهوي في كتابه « وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى » عن سبب تسمية المسجد بهذا الاسم فقال : فلما حرمت الخمر خرج الخبر الى أبي أيوب في نفر من الانصار وهم يشربون فيه فضيخاً (خمر التمر) فحلوا وكاء السقاء فها هو فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضيف .

يقع هذا المسجد على ربوة مرتفعة في شارع سلطنة على يسار الذهاب الى الجامعة الاسلامية وسمي كذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما كان يصلي فيه باتجاه بيت المقدس أمره الله سبحانه وتعالى بالتحول الى الكعبة . ويقال بأن السلطان سليم جددده عام ١٩٥٠ هـ . وهو لا يزال على هيئته ولم تجر عليه سوى أعمال الاصلاح والترميم العادية .

ويدعى أيضاً مسجد المصلي ، ويقع في حي المناخة وكانت صلاة العيدين تقام فيه . وقد جدد عدة مرات في العهد العثماني ، كما جرى ترميمه في العهد السعودي مع الابقاء على عمارته العثمانية .

أقيم هذا المسجد في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ويقع على جبل صغير مرتفع في الناحية الغربية من سفح جبل « سلع » . وفيه دعا الرسول ، عليه الصلاة والسلام ربه على الأحزاب في غزوة الخندق ، ففتح الله على المسلمين وتفرق الأحزاب .

ويعرف كذلك بمسجد الشمس ، ويروى أن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، قد صلى في



# رؤى الأُمس

للشاعر: طاهر زمره مخشري

يا لثرياً.. ينيرُ دربي سناها  
ربوةً الملتقى ، تطوفُ بها الذكرى ،  
وَرؤى الأُمس . لم تزل فتنة تشدو ، ولن يخرس النائي صداها  
كلما ضجَّت اللواعجُ في نفسي ، أفاضت زوافري من لظآها  
فمن الشَّقوقِ لوعتي تسكبُ الآه وما زلتُ احتسي من نَداها

نَبِيَّ السَهْدِ أنني أرقب الصُّبحَ فحياً إسفاره من دُجاها  
لملمَ النورَ حُسْنُها في محبا بأفانين نُورها يتبَاهى  
وضحوكُ السَّنى على ثغرها الباسم يشدو فيستعيدُ صَبَاها  
فأحلام صَبَوَتِي ، أعبرُ الليلَ إليها ، ومنيتي أن أراها  
وربيعُ الحياةِ يمرحُ فيها ويُسِّعُ الفنونَ في مغناها

أنا لولا الثمارُ طابَ جناها من ربيعٍ يورده قد كساها  
ما احتملتُ الهوى ، وما ابتردَ القلبُ بنارِ بين الضلوع لظآها  
تَجَرَّحُ العينُ بالسهاد ، ولا تعلم ، أن السهاد أغلى منهاها  
فالجُومُ الذي يعمُرُ أفكاري . يُريني عبرَ الدِّياجي رُؤاها  
وعلى رَغَمِ لوعتي ، فقوادي لم يزل بالحنين يقفوَ خطاها  
في خِصَمِّ الظلام ، في زحمةِ الآلام تطنوي جوانحي أقماها

كلما أومضَ الجمالُ بمعنى ليعوني استطبَّتْ حرَّ جواها  
وارد الدجى إلى طيفها السَّاري . وتشدو زوافري في حمآها  
وعلى الصَّمَتِ في وثاقٍ من الحب جريحٌ ، ما زال يرجو لقاءها

طاهر زمره مخشري - جدة

# التصوير الفني في القرآن

**لوضه** المؤلف عنوان كتابه ،  
خوف الاعتراض ، أو خشية  
التأويل فقال :

« لم يكن لكلمة الفن في (التصوير الفني في القرآن) الامدلول واحد : هو جمال العرض ، وتنسيق الأداء ، وبراعة الاحراج . ولم يجل في خاطري قط ، ان الفني بالقياس الى القرآن معناه : الملق ، أو المخترع ، أو القائم على مجرد الخيال ! ذلك ان دراسي الطويلة للقرآن ، لم يكن فيها ما يلجني الى هذا الفهم أو هذا التأويل . . . »

وتعجب الأستاذ قطب من انصراف كلمة « الفني » الى الخيال الملق ، والابتداع الذي لا يسنده الواقع والاختراع الذي يخرج على المعقول . . . !

وقد أجاب المؤلف على هذا التعجب ،  
أو هذا التساؤل بقوله :

« الا يمكن أن تعرض الحقائق الواقعة عرضاً فنياً وعرضاً علمياً ، ثم تبقى لها في الحالتين ، صفتها الأساسية من الصدق والواقعية . . ؟ »

ومضى الراحل في هذا البحث ، متأثراً بالقرآن ، متوجهاً بكليته الى الجانب الفني الخالص ، ضارباً بالمباحث اللغوية أو الكلامية أو الفقهية ، أو غيرها عرض الحائط . . لأنها لا تمثل في رأيه ما توافر عليه من إبراز الصور الفنية التي أخذ نفسه بها . أو ألقاها بمباحث قد طرقها المعنيون بها ، أو قتلها أصحابها أو فرسانها تنقيباً وبحناً . . وان كان الواجب على مثله ، أن يتناول هذا التصوير مشفوعاً بما يكتنفه من تعلقات كلامية ، أو لغوية ، أو يصاحبه من تفرعات فقهية ، هي أقمن بهذا البحث ، وأجدر على الثبوت والمعان . .

ولكن لعل المؤلف قد اختار جانب التصوير دون سواه ، ليستطيع مناقشة الوقائع مناقشة منطقية تارة ، أو سارداً للحوادث تارة أخرى . .

وينضح ذلك في اسلام عمر ، وتكبيره النبي ، عليه الصلاة والسلام . عند ذلك وتولي الوليد ابن المغيرة ، واعترازه بماله وولده ونسبه . . على أنه لا يجوز اغفال العوامل النفسية في اسلام

عمر ، وتأثير القرآن في نفسي كليهما ، كما يقول الأستاذ قطب ، أو تناسي التقوى التي شرحت صدر ابن الخطاب للاسلام ، أو يضرب عن الكبرياء التي صدت الوليد عن الاذعان للاسلام .

وتعرض الأستاذ قطب لفهم القرآن ، وتعاطي التفسير ، ونقل عدة روايات ، عن : سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، وهشام بن عروة ، وخلص في أمر هذا النقل الى أن مسّ السحر في القرآن ، كان الى جانب التحرج الديني ، فضلاً على روعة البهر ، وأمارات المفاجأة بهذا النسق المعجز ، الى حد الدهش والاستسلام . وكان سياق الأمثلة ، أو النقلة في التفسير في حذر وخشية ، أو المنقول عن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، ماضياً الى أن جاء عصر التابعين . وكان التوضيح اللغوي ، لبنة المعنى الذي يفهم من أي آية قرآنية الى أن عمر هذا التفسير ، أو غرق في مباحث فقهية وجدلية ونحوية وصرفية وخلقية وفلسفية وتاريخية وأسطورية . .





تأليف: الأستاذ الراحل سيد قطب

عرض وتقديم: الأستاذ أبو طالب زيان

والوحدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة .

وقد أصاب الأستاذ قطب في مناقشة الأمثلة التي ساقها ، ووفق كل التوفيق في عرضه المعاني الذهنية التي تخرج في صورة حسية ، والمعاني المجردة ، والحالات النفسية والمعنوية ، وساق نماذج إنسانية واضحة وأفاض في ذكر القصص الحقيقي ، كقصة إبراهيم ، وهو يبني الكعبة مع ابنه اسماعيل ، وقصة الطوفان ، ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب ، وغير ذلك من المشاهد الطبيعية التي تغذي الخيال ، وتملأ العين بهجة والنفس انشراحاً .

على ان الراحل الفاضل قد أحسن بمقتضيات التصوير ، وشعر به في أسلوب القرآن ، فأراد أن يوضح قاعدته في فصل مستقل ، تحت عنوان « التخيل الحسي والتجسيم » . وكانت أمثلة التخيل الى جانب أمثلة التجسيم رائعة محسوسة ، مختارة نابضة بالحياة ، عامرة بالحركة .

الأحيان الى درجة من الاسفاف لا تطاق . . ! لكن الواقع يؤيد الجرجاني ، ويؤيد كذلك لاحقه الزمخشري في نظرة كل منهما الى التفسير البلاغي ، حيث أقام كلاهما الدليل على عدم الاستغناء عن علمهما أو تناسيه في التفسير الفني للقرآن ، وإن كان المؤلف قد قصر علمهم على الاستعارة وإن كان يحتاجها التفسير ، وجردهم من تلك الروعة التي تظهر كثيراً من المعاني ، أو تعطي البعد الكبير لكثير من الآيات ، أو تدخل السرور على النفوس عند قلب أوجه النظر في لفظ أو معنى ، يحتاج الى بلاغة البلاغيين . .

وقاعدة التصوير التي عناها المؤلف ، تركز أو تشمل : التصوير باللون ، والتصوير بالحركة ، والتصوير بالتخيل ، غير التصوير بالنغمة ، فضلاً على اشتراك الوصف والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق . وكل هذا تصوير حي متزع من عالم الاحياء ، لا ألوان مجردة ، وخطوط جامدة . . تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ، بالمشاعر

فإن ان هذا التدرج الذي كان طيفياً في مدارج التفسير ، أو كان يجب أن يكون . . لم يعجب الأستاذ قطب ، ووقف حياله موقفاً غريباً ، وإن ساق الحجج ، وجمع ما لديه من دفاعات . . ! يقول المؤلف إن الفرصة التي كانت مهياة للمفسرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن ، قد ضاعت ربما بهذا الترتيب الزمني الذي خضع له التفسير في ظروفه المختلفة ، وأ عصره المتلاحقة . . !

ونظر الأستاذ قطب الى البلاغيين نظرة ما كان أغناه عن البحث بها ، لا سيما وقد مسح بصناعتهم ، ما كان يجب أن يكونوا هم فيه من فرسان التفسير ، حتى أنهم لم يصلوا ، في رأيه ، الى ما وصل اليه المفسرون وشغلوا أنفسهم بمباحث عقيمة حول « اللفظ والمعنى » في أيهما تكمن البلاغة ، بل لقد غلب على بعضهم ، روح القواعد البلاغية فأفسد الجمال الكلي المنسق ، أو انصرف عنه الى التقسيم التبويب ، ووصلوا في هذا وذلك ، في بعض

والتوفيق الذي أحرزه المؤلف في شرح هذه القاعدة ، أو توضيح هذا الأساس ، إنما كان توفيقاً من عند الله ، جلّ شأنه .

فالتصوير القرآني : « كما يكون بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية . والنموذج الانساني والطبيعة البشرية ، يكون كذلك عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الانساني شاخص حي . فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخييل . »

**وإستوفى** الأستاذ قطب ، الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة ، وسار الأسلوب القرآني في أخص شأن يوجب فيه التجريد المطلق ، والتزويه الكامل . وعرض لـ « يد الله فوق أيديهم » و « كان عرشه على الماء » و « وسع كرسيه السموات والأرض » و « ثم استوى على العرش » و « الله يقبض ويبسط » و « اني متوفيك ورافعك إلي » ، وان كان لم يعرض الى الجدل الذي ثار حول هذه الكلمات . واكتفى بأن هذا قد جرى على نسق متبع في التعبير ، يرمي الى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها ، ويجري على سنن مطرد ، لا تخلف فيه ولا عوج ، سنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير . . . غير أنه ولا شك ، ان هذه الطريقة في القرآن أساسية في التصوير ، كما أن التصوير ، هو القاعدة الأولى في التعبير . . . »

والتناسق الفني في تصوير القرآن ، ألوان ودرجات ، من ذلك : تأليف العبارات والابقاع الموسيقي والتركيبات البلاغية ، والتسلسل المعنوي ، كل ذلك يصاحبه الجو الذي يوائمه من الآيات ، مع مناقشتها بعد عرضها في

اطارها المحكوم بهذا التناسق الفني ، الذي يحاط بالنظم الفصيح ، والسرد العذب ، والمعنى المترابط ، الى جانب النسق التسلسل ، واللفظ المعبر ، والتعبير المصور والتصوير المشخص ، والتخييل المجسم الى الموسيقى المنغمة ، والاتساق في الأجزاء والاطر . والموسيقى ، فضلاً على الافتنان في الاخراج . « وخضعت القصة في القرآن في موضوعها وفي طريقة عرضها وادارة حوادثها ، لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت سمات هذا الخضوع في سمات معينة . إلا أن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير : وهي التصوير . . . »

وبهذا المنطلق وزع الأستاذ قطب دراسته ، حول أغراض القصة ، وخضوع القصة للغرض الديني ، والدين والفن في القصة ، والخصائص الفنية للقصة ، والتصوير في القصة ، ورسم الشخصيات في القصة . . . ودون شك في أن المؤلف . قد عناه هذا البحث . « وسيلة من وسائل ابلاغ الدعوة المحمدية وتثبيتها ، شأنها في ذلك ، شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعم والعذاب ، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث ، وعلى قدرة الله ، وشأن الشرائع التي يفصلها ، والأمثال التي يضربها . . . »

والنماذج الانسانية التي أثبتتها الأستاذ الراحل . دليل على قوة فهمه لمقتضيات أحوال الآيات القرآنية ومراميها المتعددة في سهولة ويسر ، فكان تصوير الجنس ، والمخلوق الضعيف العقيدة ، والمكابرة العجيبة ، والذي لا يخاف ولا يستحي ، والمنافق الضعيف ، والذي يريد الحياة بأي ثمن ، والجاحدون على القديم ، والجماعة المتفرقة ، والذين يجادلون بالحق وبالباطل ، ومن يجتمع فيه الخداع والغفلة ، ومن ينفر عن الحق ، وغير هذا من بقية النماذج الانسانية التي وقف على مناقشتها هذا الكاتب الكبير . . .

**ولم** يفت الراحل الكريم ، أن ينسى الموقف الذي وقفه القرآن من المجادلين الذين تصدوا له . . . وتساءل عن أي الوسائل سلك ، وأي الأدلة اختار ؟ ولقد أجاب عن تساؤله ، وحشد الأدلة أمام مرماه ، ووضعها حيال غرضه . . . وكان هذا هو المنطق الوجداني الذي جادل به القرآن وناضل ، وكسب المعركة في النهاية . . . يقول المؤلف :

« في هذا المنطق اشتركت الألفاظ المعبرة ، والتعبيرات المصورة ، والصور الشاخصة ، والمشاهد الناطقة ، والقصص الكثيرة . . . » وردّ الباحث الفاضل على من قال : ان الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير ، هي التي أبرزت الأهداف الدينية التي جاء القرآن لتحقيقها وكذلك الموضوعات الالهية والتشريعية التي تناولها . . .

قال الأستاذ قطب :

ان القرآن له طريقة موحدة في التعبير ، وهي كفاء الأغراض والموضوعات ، حتى أغراض البرهنة والجدل ، وهذه هي طريقة التصوير التشخيصي بوساطة التخييل والتجسيم . . . ومن المحمود لهذا الكاتب ، أن يعترف بالصعوبات التي اعترضته في أثناء تأليفه هذا الكتاب ، ولا سيما : موضوع « القصة في القرآن » ، و « مشاهد القيامة في القرآن » .

يقول : انه وقف طويلاً أمام هذه الصعوبات وان كان لم يجد حقيقة واحدة من حقائق التاريخ ، أو حقائق التفكير ، يطمئن الى يقينها وقطعيتها ، ليحاكم القرآن إليها . . .

ويعترف المؤلف كذلك ، بأنه رجل فكر ، يحترم فكره عن التجديف والتلفيق ، لا رجل دين تصده العقيدة البحتة عن البحث الطليق . . . ولهذا وجد من المهانة ، ان يكون لانسان رأي ، يكذب به هذا « الكتاب » ولو لم يكن له نصيب من عقيدة ، أو دين . . . ●

أبو طالب زيان - القاهرة



# الخبير الصغير

و « القاضي الجرجاني » للدكتور محمود السمره وطبع عمان ، و « توينبي » للمرحوم الدكتور فؤاد محمد شبل ونشر الهيئة المصرية .

« في الأدب الفارسي صدرت ثلاثة كتب هي : « دراسات ومختارات فارسية » للدكاترة محمد السعيد جمال الدين ، وأحمد حمدي السعيد الخولي ، ومحمد السعيد عبد المؤمن ، ونشر دار الرائد العربي ، و « من الفكر الصوفي الايراني المعاصر » تأليف محمد صادق عنقا شاه مقصود بير أومعي وترجمة الدكتور السباعي محمد السباعي والدكتور ابراهيم الدسوقي شتا ونشر دار الثقافة ، و « منطق الطير » لفريد الدين العطار النيسابوي وترجمة وتعليق الدكتور بديع محمد جمعة ، ومراجعة وتقديم الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ونشر دار الرائد العربي . « من الدراسات الأدبية الحديثة صدرت الكتب التالية : « آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة » للدكتور فؤاد زكريا نشر الهيئة المصرية ، و « الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠ » للأستاذ محمد صالح الجابري وتقديم الأستاذ محمد العروسي المطوي ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « الرواية فيما وراء العراق » للدكتور عبد الحميد الشلقاني ونشر الهيئة المصرية ، و « خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث » للأستاذ أنور الجندي وطبع القاهرة ، و « البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام » للأستاذ محمد رشيد ثابت ونشر الدار العربية للكتاب . « صدرت في الدراسات الاسلامية طائفة من الكتب منها : « المصحف الشريف : دراسة تاريخية وفنية » للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ونشر الهيئة المصرية ، و « فلسفة المعرفة في القرآن الكريم » للدكتور علي عبد العظيم بمقدمة للدكتور محمد عبد الرحمن بيسار ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، و « والحرب على هدي القرآن والسنة » للأستاذ أحمد حسين ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « مباحث في علوم القرآن » للشيخ مناع الفطان ، و « الحج الى بيت الله الحرام » لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ونشر مجلة الجديد ، و « كشف الخطي في المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ » للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « شؤون اسلامية » للأستاذ عبد الله قنون ، و « أهل البيت في مصر » للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الملتقى السابع لتعرف إلى الفكر الاسلامي » وهو كتاب يقع في ثلاثة أجزاء ضخام نشرت فيه البحوث والدراسات

« أحدث ما ظهر من الموسوعات » موسوعة نافع البترولية » وهو معجم انكليزي / عربي وضعه الأستاذ محمد أسعد نافع وطبع بدار الهناء بالقاهرة . وبالنظر الى كثرة الموضوعات التي تتصل بصناعة الزيت ، فقد ارتأى الأستاذ نافع أن يقدم موسوعة الى أبواب يضم كل باب منها المصطلحات الخاصة بهذا الفرع من الصناعة . فباب للجيولوجيا وآخر للكيمياء وباب للتكرير وغيره للتسويق ثم للاتفاقيات والعقود وللتقل وخطوط الأنابيب وهلم جرا .

ولئن كان هذا اللون من التنسيق في الموسوعة يختلف عن النظم المتبعة في المعاجم التي تراعى الترتيب الأبجدي للمصطلحات أيما كان الفرع الذي يرتبط به المصطلح من فروع العلم ، فقد ابتغى به الأستاذ نافع أن يساعد كل من يرجع الى موسوعته على الالمام بعمليات صناعة الزيت نفسها لا بمصطلحاتها المجردة .

كما يلاحظ أن الأستاذ نافع يتوسع في ايراد معاني كل لفظة ، فلا يقتصر على المعنى الاصطلاحي ، بل يورد جميع معانيها المبثوقة الصلة بصناعة البترول . ثم انه لا يكتفي باختيار لفظة واحدة لتؤدي معنى اصطلاحياً واحداً ، بل يورد سلسلة من الألفاظ تاركاً للقارئ مهمة المفاضلة بينها واختيار أدقها وأقدرها على أداء المعنى الاصطلاحي المطلوب .

« صدر للدكتور ابراهيم حمادة كتاب « معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية » عن دار الشعب . « الشاعر المهجري الياس فرحات الذي يقيم في البرازيل أصدر كتاباً كبيراً عنوانه « ذكرياتي بين صباح الحياة ومساءها » روى فيه سيرة حياته الذاتية ومكونات شخصيته والأعلام الذين عرفهم والأسباب التي أدت الى هجرته والأعمال التي اشتغل بها في المهجر ، وتفتح موهبته الشعرية التي جعلته من الشعراء العرب المعاصرين . وتوقع الأستاذ فرحات في الحديث عن رحلته الى الوطن عام ١٩٦٠ بعد نصف قرن من الهجرة وسجل ما دار في هذه الرحلة من أحداث وما أقيم فيها من حفلات تكريم وما قيل فيها من نثر وشعر . وختم كتاب سيرته بفصل طريف عنوانه « مغامرة صيد في حوض أرغواي » صور فيه بأسلوب روائي ، جانباً من جوانب الحياة في المهجر . وقد نشر هذا الكتاب في البرازيل وطبع في مطبعة مجلة الشرق بسان باولو .

« من الكتب الجديدة التي تعالج السير والتراجم : « أبو العلاء المعري » للدكتورة بنت الشاطئ . نشر الهيئة المصرية ، و « أحمد شوقي أمير الشعراء » للأستاذ جمال سليم نشر مجلة « الجديد » ،

التي قدمت الى هذا المؤتمر الاسلامي الذي عقد في الجزائر ، وقد قامت بنشره وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية ، و « رحلاتي الى الديار الاسلامية » لفضيلة الشيخ محمد محمود الصواف . « أصدر الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الخامسة من كتابه المشهور « المذاهب الاجتماعية الحديثة : عناصرها السياسية والاقتصادية والدستورية » وقد نشرته دار الشروق في بيروت .

وتتميز هذه الطبعة الجديدة بما أضيف اليها من فصول موسعة عن الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ، ثم عن أبرز الأحداث التي شهدتها العالم العربي في السنين الأخيرة . « أصدرت الأدبية اللبنانية الشابة الآنسة اميلي حداد كتاباً ثانياً من كتب الخطوط النفسية عنوانه « ليتك تسمع » .

« بناء القاهرة في ألف عام » كتاب جديد للدكتور عبد الرحمن زكي ، صدر عن الهيئة المصرية .

« في الشعر صدرت مجموعة من الدواوين الجديدة منها « أناشيد وأغاريذ للجبل المسلم » للشاعر يوسف العظم ، طبع سورية ، و « أدواح وأعاصير » للشاعر سعد ظلام ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و « حصاد الشمس » للشاعر عبد العزيز قاسم ، نشر مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع في تونس ، و « أول مرة » للأستاذ هائل العجلوني نشر مطبعة الحرية بعمان ، و « خفقات قلب » للأستاذ السيد محمد مصطفى الشوبكي ، وطبع مطبعة القوات المسلحة بعمان .

« كتاب عن « الفاز الطبيعي » صدر للمهندس الأستاذ فرج حبشي ونشرته الهيئة المصرية . « من كتب الخطوط التي صدرت أخيراً كتاب « وجهات نظر » للأستاذ محمد مزالي ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « خواطر » للأستاذ طاهر الحداد ، ونشر الدار العربية للكتاب .

« في الأدب الروائي ، بفنونه المختلفة صدرت الكتب الآتية : « نار ونور » وهي رواية جزائرية للدكتور عبد المالك مرتاض نشرتها دار الهلال ، و « صورة دوريان جراي » وهي مسرحية لكونستانس كوكس عن رواية أوسكار وايلد وقد ترجمها الدكتور عزيز سليمان ونشرتها مجلة الجديد ، و « دوائر عدم الامكان » لأفصيص للأستاذ مجيد طويبا ، و « يحدث أحياناً » وهي مجموعة أفصيص للأديبة زينب رشدي ونشر دار الشعب ، و « قصص من بلدي » للأستاذ حسني فريز ، وهو من منشورات مطبعة الشرق بعمان .

# مرض الخلايا المنجلية

**الهيموغلوبين - Hemoglobin** هو المادة

الحوية في الدم التي يتم بواسطتها نقل الأوكسجين من الرئتين الى خلايا وأنسجة الجسم المختلفة .

ولادة الهيموغلوبين هذه قصة فريدة في عالم الطب . فلأهميتها البالغة جلبت انتباه الباحثين في كل قطر مما ولد لدينا ثروة علمية كبيرة وأصبحنا بذلك نعرف دقائق تركيب هذه المادة وكيفية تفاعلها مع الأوكسجين . والأهم من ذلك فقد أصبحنا نعرف الاصبساغ الكروموسومية - Genes المسؤولة عن تركيب وعمل الهيموغلوبين . هذا مع العلم بأن أي خلل في هذه الجينات - Genes يولد خللاً في الهيموغلوبين مما ينتج عنه حالة مرضية كما هي الحال بالنسبة لمرض الخلايا المنجلية الذي نحن بصددده . يتكون جزئ الهيموغلوبين من مركبين

أحدهما الهيم - Heme والآخر الجلوبين - Globin . ويتكون الجلوبين من أربع سلاسل - Chains من الأحماض الأمينية - Aminoacids . تلفت حول بعضها في تناسق تام . ويبلغ تعداد الحوامض الأمينية في هذه السلاسل الأربع ٥٦٩ سلسلة مرتبة ترتيباً دقيقاً .

ولنلق نظرة الآن على تركيب الهيموغلوبين في مراحل تطور الانسان . ففي الأشهر الأولى من عمر الجنين يتكون الجلوبين من سلسلتين من نوع « جاما » وآخرين من نوع « بيتا » ويطلق على هذا الهيموغلوبين اسم ف - F . وفي حوالي الشهر الثامن يحدث تحول في تكوين الغلوبين فتستبدل السلاسل من « جاما » بأخرى من نوع « بيتا »، ويطلق على الهيموغلوبين في تلك الحال ( الف أو - A ) وهو الذي يستمر وجوده بعد الولادة وعلى مدى الحياة .

هذه هي الحال بالنسبة للانسان السليم ، ولكن في الحالات المرضية قد يحدث خلل في هذا النظام . فمثلاً قد يحدث خلل في التحول من هيموغلوبين ( الفا جاما ) الى ( الفا بيتا ) وفي هذه الحال يبقى الهيموغلوبين أو نسبة كبيرة منه من نوع « ف » . ومثال آخر أن يستبدل أحد الأحماض الأمينية في السلسلتين من مجموعة ( بيتا ) بحامض أميني آخر فينتج عن ذلك

هيموغلوبين من نوع جديد بدل الهيموغلوبين العادي من نوع « الف » كما هو الحال بالنسبة لمرض الخلايا المنجلية الذي نحن بصددده .

**تعريف المرض ولحمته تاريخية عنه**

أن مرض الخلايا المنجلية مرض وراثي يصيب خلايا الدم الحمراء فيسبب فقراً مزمناً في الدم وذلك بسبب قصر عمر تلك الخلايا . وقد تم اكتشاف هذا المرض من قبل الدكتور « هرك - Herrick » في شيكاغو سنة ١٩١٠م وذلك لدى معالجته لأحد المرضى الزوج المصابين بفقير الدم المزمن . وفي سنة ١٩٤٩ اكتشف الدكتور « باولنج - Pauling » الحائز على جائزة نوبل ، العلاقة بين المرض والخلل في نظام تركيب الهيموغلوبين . وقد كان لهذا الكشف العظيم الأثر البالغ في الاسراع بالأبحاث التي أدت في النهاية الى اكتشاف تركيب الهيموغلوبين بشكل تفصيلي . وفي السنة نفسها تمكن الطبيب « نيل - Neel » و « بيت - Beet » من استقصاء الناحية الوراثية في انتقال المرض من الأبوين الى الأبناء .

**انتشار المرض :** يتركز مرض الخلايا المنجلية في أواسط افريقيا الاستوائية حيث تصل نسبة الاصابة بين السكان في بعض المناطق الى ٤٠ في المئة . وينتشر المرض كذلك في المناطق المحيطة بحوض البحر الأبيض المتوسط مثل تركيا ، اليونان ، ايطاليا ، وجزيرة صقلية ، وكذلك الهند وجنوب وشرق الجزيرة العربية . أما في الولايات المتحدة الأمريكية فينتشر هذا المرض بكثرة بين الزوج حيث تصل نسبة الاصابة به حوالي ٩ في المئة .

يعتقد الاخصائيون أن هذا المرض قد بدأ في أواسط أفريقيا الاستوائية وفي المناطق التي ينتشر فيها مرض الملاريا . فمن المعروف أن جرثومة الملاريا تصيب خلايا الدم الحمراء . وقد أصبح من المؤكد الآن أن الخلايا المنجلية أشد مقاومة لجرثومة الملاريا من الخلايا الحمراء الطبيعية . ومن هنا استنتج الاخصائيون أنه كجزء من محاولة جسم الانسان البقاء والتغلب على المرض فقد حصل تغير ( Mutation ) في

بقلم: الدكتور ابراهيم ناصر



وفي هذه الحال يكون المصاب ناقلاً للمرض ولا يحمل أيًا من أعراضه .

إذا كان كلا الجينين مصاباً فإن حوالي ٧٠ - ١٠٠ في المئة من الهيموغلوبين سيكون من نوع «S» وبالتالي يكون تركيب الهيموغلوبين (SS). وفي هذه الحال يكون المصاب حاملاً للمرض وتظهر فيه أعراضه جميعاً. وعلى هذا الأساس إذا افترضنا أن رجلاً ناقلاً للمرض (SA) تزوج من امرأة ناقلة للمرض كذلك (SA) وأنجبا أطفالاً فإن الأطفال سيكونون على النحو التالي : النصف ناقل للمرض (SA) والربع مصاب بالمرض (SS) والربع سليم (AA) .



صورة خلية الدم الحمراء بشكلها الطبيعي (ك) مع من حديث (ب) تظهر تحت المجهر

أما إذا كان الزوجان مصابين بالمرض (SS) فإن جميع أطفالهما سيكونون مصابين به (SS) . أما إذا تزوج رجل ناقل للمرض (SA) من امرأة سليمة (AA) فإن نصف أولادهم سيكونون ناقلين للمرض (SA) والنصف الآخر سالمين (AA) .

ان فهم هذا الموضوع من الأهمية بمكان بحيث يفسر كثرة انتشار المرض في المجتمعات المغلقة التي ينتشر فيها التزاوج بين الأقرباء . فالرجل إذا كان ناقلاً للمرض وأراد الزواج من

على المرور في «الأوعية الدموية الدقيقة - Capillary Bed» . أما الخلية المنجلية فتفقد خاصية المرونة وبذلك تنفست أثناء مرورها في الأوعية الدموية مما يقصر في عمرها .

• التصاق الخلايا المنجلية ببعضها ببعض : وهذا يسبب تخثراً في السدم وبالتالي انسداداً في الشرايين الدقيقة ، وانقطاع الدم عن الأنسجة التي تغذيها تلك الشرايين بسبب عطب أو تلف تلك الأنسجة .

### طريقة انتقال المرض من الآباء إلى الأبناء

لقد ذكرنا أن جزيء الهيموغلوبين يخضع في تركيبه وعمله إلى نوعين من الجينات ، وهي المواد

« الجينات - Genes » المسؤولة عن تركيب الهيموغلوبين مما نتج عنه نشوء الخلايا المنجلية . ومع أن هذا التغير قد أدى مهمة حيوية مؤقتة ساعدت الإنسان على مقاومة مرض الملاريا إلا أنه أنتج مرضاً جديداً يكاد أشد من الملاريا نفسها . فبعد أن تم القضاء على الملاريا في عدة بلدان لا يزال الناس يتوارثون هذا المرض عن أسلافهم . أما عن كيفية انتشار هذا المرض من أواسط أفريقيا إلى بقية أنحاء العالم فيقول الأخصائيون ان التحركات السكانية على الطرق التجارية القديمة قد لعبت دوراً كبيراً في نقل المرض إلى جنوب الجزيرة العربية والهند ، وكذلك نقلت تجارة الرقيق المرض إلى أمريكا وأقسام أخرى من العالم .

### السبب وطور المرض

لقد ذكرنا آنفاً أن هذا المرض ينتج عن تغير ( Mutation ) في « الجينات - Genes » المسؤولة عن تركيب الهيموغلوبين وعمله . وقد نتج عن هذا التغير خلل في تركيب الهيموغلوبين بحيث استبدل الحامض الأميني رقم - ٦ ( Glutamic Acid ) في السلسلة « بيتا » بحامض أميني آخر يدعى «Valine» . وبذلك نتج نوع جديد من الهيموغلوبين أطلق عليه اسم س (S) .

والسؤال الذي يرد الآن هو : كيف أن استبدال حامض أميني واحد في سلسلة تحوي ١٥٦ حامضاً أمينياً يتسبب في نشوء مرض خطير تشمل أعراضه جميع أعضاء الجسم ؟ وللإجابة عن ذلك نقول : في الظروف التي تقل فيها نسبة الأوكسجين في الدم يترسب الهيموغلوبين من نوع (S) وتتصل جزيئاته في حلقات ، وبالتالي يتغير شكل خلايا الدم الحمراء من شكلها الطبيعي إلى كرات مقعرة من الجانين ( Biconcave Spheres ) لتتخذ شكل المنجل ومن هنا جاءت تسميتها بـ : « مرض الخلايا المنجلية - Sickle Cell Disease » وينتج عن هذا التغير في شكل خلايا الدم الحمراء أضرار مهمان وهما : فقدان الخلية لمرونتها : فخلايا ذات الشكل الطبيعي الكروي المقعر مرنة مما يساعدها

المتوارثة التي تقرر صفات ووظائف الكائن الحي . وقد ذكرنا كذلك أن مرض الخلايا المنجلية نشأ نتيجة تغير في هذه الجينات . وبما أنها متوارثة بمعنى أن الإنسان يرثها عن أبويه ، فكذلك يصبح المرض نفسه متوارثاً وينتقل من الآباء إلى الأبناء عن طريق هذه الجينات . فاذا حصل وكان أحد هذين الجينين مصاباً فإن حوالي نصف الهيموغلوبين يكون من نوع (S) المنجلي والنصف الآخر من النوع الطبيعي (A) ، ويكون تركيب الهيموغلوبين (SA) .

ابنة عمه مثلاً فإن احتمال كونها ناقلة للمرض مرجح ، كذلك وبنتيجة زواجهما يتفشى المرض في نسلهما على الشكل الذي بيناه .

وبالمقابل إذا تزوج ذلك الرجل من امرأة سليمة فلن يكون هنالك أحد من أبنائه مصاباً بالمرض . ومن هنا تأتي أهمية اختيار الزوج أو الزوجة المناسبة بحيث يخفّ التزاوج بين ناقل المرض . وفي بعض المجتمعات التي ينتشر فيها المرض مثل الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم حملة كبيرة لتوعية الأفراد على أخطار هذا المرض فينصح الفرد بفحص دمه لمعرفة إن كان ناقلاً للمرض . فإن كان كذلك نصح بعدم الزواج من ناقل آخر للمرض أو على الأقل أعطي فكرة واضحة من قبل الطبيب عن احتمالات الإصابة بالنسبة لأطفاله حتى يكون على بينة من أمره فيحسن الاختيار .

(المرضى المنجليون)

بالنسبة لناقل المرض (SA) فإنه في الظروف العادية يخلو من أي عرض مرضي ، ويعيش حياة عادية ويكون متوسط عمره مماثلاً لمتوسط أعمار الناس العاديين . وفي هذه الحال فإن أقل من نصف الهيموغلوبين يكون من النوع المنجلي (S) . في حين أن نسبة الهيموغلوبين في الدم تكاد تكون طبيعية حيث يخلو الناقل للمرض من فقر الدم . وناقلاً للمرض يتم الكشف عنهم في العادة عند المسح العام للسكان أو عند دراسة عائلة ما عند اكتشاف الإصابة بالمرض لدى أحد أفرادها .

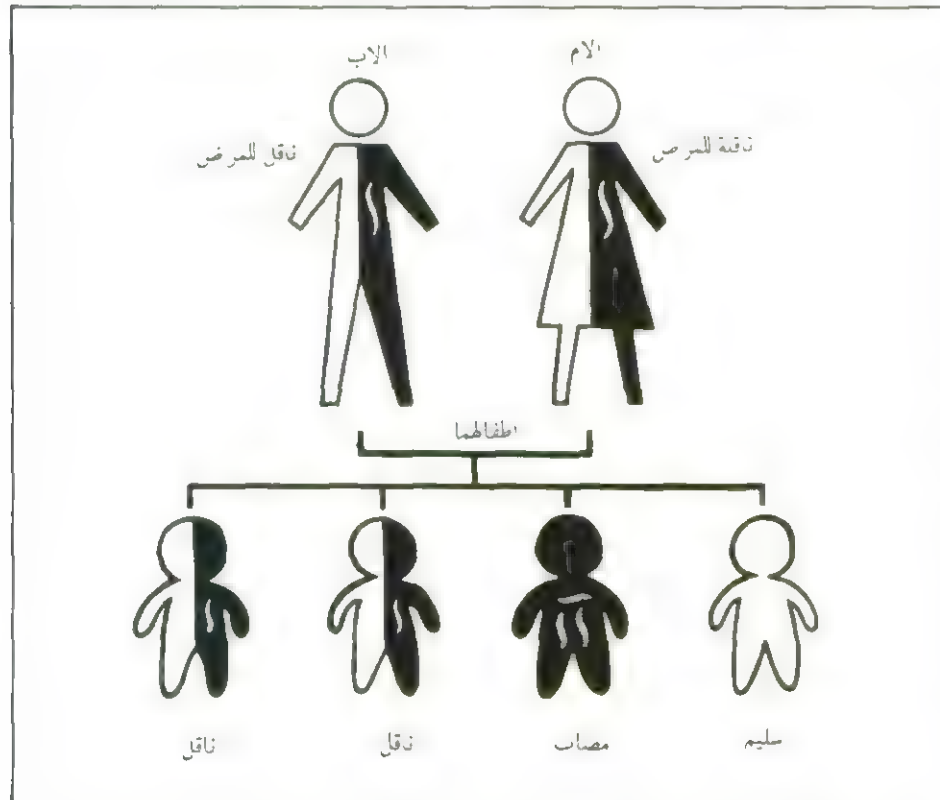
أما بالنسبة للمريض المصاب (SS) . فإن أعراض هذا المرض تعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :

فقدان المرونة لدى خلايا الدم المنجلية مما يسبب تفتتها أثناء مرورها في الأوعية الدموية الدقيقة . وهذا التفتت يسبب بطبيعة الحال قصراً في عمر تلك الخلايا ، فبدلاً من أن تعيش كما هي الحال بالنسبة للخلية الحمراء السليمة حوالي ١٢٠ يوماً ، فإن معدل حياة هذه الخلايا يبلغ حوالي عشرة أيام أو أقل . وهذا هو السبب الرئيسي في حالات فقر الدم التي تصاحب

هؤلاء المرضى طوال حياتهم . ولحالة التغلب على فقر الدم هذا فإن الجسم يحاول صنع المزيد من هذه الخلايا الحمراء فينشط «نخاع العظام - Bone Marrow» ليصنع هذه الخلايا وتزيد طاقة إنتاجه إلى عدة أضعاف ، ولكن هناك حداً لهذه الطاقة لا يمكن تجاوزها وحصيلة ذلك كله فقر في الدم تختلف حدته من مريض إلى آخر . ويبدو المريض في هذه الحال شاحب اللون يميل إلى الاصفرار ، وفي أغلب الحالات تظهر مسحة من اليرقان في عيني المريض وجلده ، وبما أن فقر الدم هذا يصاحب المريض منذ أيام طفولته فإنه يسبب نحولاً في الجسم وتخلقا جسدياً لديه .

أما القاعدة الثانية فهي قابلية التلاصق لدى الخلايا المنجلية بحيث تلتصق بعضها ببعض فتكون كتلا مختلفة الأحجام وتسبب تخرقاً في الدم وانسداداً في الشرايين الدقيقة مما

يمنع وصول الدم إلى الأنسجة التي تغذيها تلك الشرايين . وقد يحصل ذلك في أي من أعضاء الجسم إلا أن هنالك أعضاء أكثر تعرضاً من غيرها مثل : العظام ، الطحال ، الكلى ، الدماغ . . . فإن حصل ذلك في العظام مثلاً نتج عنه عطب أو تلف في العظم المصاب ، ويصاحب ذلك ألم شديد في ذلك العظم . أما إذا حصل في الكلى فنتيجة ذلك نزيف يشاهده المريض في بوله . وعلى هذا فإن أعراض المرض متنوعة وقد تشمل أي عضو من أعضاء الجسم . ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن المريض المصاب بالخلايا المنجلية يمر في أزمات صحية حادة بين الحين والآخر تستدعي إدخاله إلى المستشفى . ويصاحب هذه الأزمات آلام حادة في البطن وبالأخص في عظام الظهر والأرجل مع ارتفاع في درجة الحرارة وازدياد في حدة فقر الدم . وفي السابق كانت مثل هذه



رسم توضيحي لانتقال المرض المنجلي عن طريق الوراثة . وفيه يظهر رجل وامرأة ناقلا للمرض تزوجا فأنجبا أربعة أطفال بينهم اثنان ناقلا للمرض وواحد مصاب وآخر سليم .





صورة لخلايا الدم الحمراء بعد أن اتخذت شكل المنجل وترى ملتصقة بعضها ببعض من مريض مصاب بهذا المرض .

ويلاحظ أنه ليس هناك الكثير مما يستطيع الأطباء أن يقدموه الى هؤلاء المرضى وقد يكون خير ما يقدم اليهم هو أن تمنع عنهم بعض الأدوية الضارة مثل الحديد الذي كثيراً ما يوصف كمقو للدم . وبما لا شك فيه أن الحديد من الأدوية المفيدة بل اللازمة لعلاج نوع واحد من فقر الدم ذلك الذي ينتج عن نقص في الحديد ، أما بالنسبة لمرضى الخلايا المنجلية فلا يوجد لديهم نقص في الحديد بل بالعكس عندهم زيادة فيه واستهلاك كميات اضافية منه لها عواقب وخيمة . وهناك نقطة أخرى نود أن ننبه اليها وهي أن هذا المرض مزمن وفي غالب الأحيان يعتاد المرضى العيش بنسبة قليلة من الهيموغلوبين في الدم تتراوح بين ٧ - ٩ غم في المئة ويقومون بأعمالهم الاعتيادية على هذا المستوى ولا يلزمهم نقل دم جديد الا في الحالات النادرة . وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لمنع تكرار نقل الدم لهؤلاء المرضى لما في ذلك من مضاعفات لا حصر لها ●

د. ابراهيم ناصر  
جامعة البترول والمعادن - الظهران

الأزمات الحادة تؤدي بحياة المريض وفي سن مبكرة . فقد كان معدل حياة المريض لا يتجاوز عقداً من الزمان ولكن ومع تحسن الرعاية الطبية أصبح هؤلاء المرضى ينعمون بقدر أفضل من الراحة ومنهم من يعمر ليلغ سن الأربعين أو حتى الخمسين .

## تشخيص المرض

يلاحظ من وصف أعراض المرض عدم وجود صورة واحدة ومحددة المعالم لهذا المرض . فقد يظهر في صورة متباينة وقد يصيب اعضاء مختلفة ومتباعدة مما يزيد من الأشكال بالنسبة لتشخيص المرض . فحين يصيب الكلى مثلاً قد يختلط الأمر مع مرض التهاب الكلى ، وحين يصيب العظام والمفاصل قد يختلط الأمر مع مرض الروماتزم وهكذا . إلا أن هناك قاعدة عامة تجب مراعاتها ، وتتلخص في دراسة حالة كل مريض مصاب بفقر الدم المزمن والتأكد من وجود هذا المرض أو عدمه خاصة اذا كان المريض من منطقة جغرافية يعرف فيها انتشار المرض .

ولتشخيص المرض لا بد من اللجوء الى الفحوص المختبرية . وفي البداية يتم الكشف لمعرفة نسبة الهيموغلوبين في الدم حتى يعرف مدى فقر الدم لدى المريض . ومن ثم يجرى كشف أولي لمعرفة قابلية الخلايا الحمراء لتأخذ شكل المنجل ، وذلك بفحص هذه الخلايا تحت المجهر بعد أن تكون قد عزلت عن الأوكسجين فترة ما . فان كانت نتيجة هذا الفحص سلبية تم التأكد من خلو المريض من المرض . أما اذا كانت النتيجة ايجابية فلا بد من فحص آخر لمعرفة ما إذا كان المريض ناقلاً للمرض فحسب ( SA ) أو مصاباً به ( SS ) . ويتم ذلك بفحص شكل ترسب الهيموغلوبين عند تمرير تيار كهربائي عليه . وبهذه الطريقة يمكن معرفة نسبة الهيموغلوبين المنجلي في الدم . فان كان أقل من ٥٠ في المئة كان المريض ناقلاً فقط ، وان كان بين ٧٠ و ١٠٠ في المئة كان المريض مصاباً بالمرض .

## العلاج

لا يوجد هنالك علاج ناجح لهذا المرض وما زال الطب يقف عاجزاً عن استئصاله . وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن يترك المصابون بهذا المرض دونما عناية طبية خاصة أثناء الأزمات الحادة . ففي هذه الحال لا بد من ادخال المريض المستشفى .

ويتلخص العلاج في عدة أمور بسيطة : أولها الاخلاص الى الراحة التامة أثناء الأزمات ، وتقديم الأوكسجين للمريض بالإضافة الى العقاقير الطبية اللازمة للقضاء على الآلام الحادة التي تصاحب هذه الأزمات . وفي الوقت نفسه لا بد من زيادة كميات السوائل المعطاة للمريض التي قد تساعد على منع تخثر الدم في الشرايين الدقيقة . ومن الأطباء من يصف بعض القلويات مثل كربونات الصودا وان كانت الفائدة المرجوة غير ثابتة .

وهناك أبحاث كثيرة تجرى الآن لمحاولة ايجاد علاج ناجح لتلك الأزمات الحادة ، وفي هذا المجال نذكر اليوريا ( Urea ) والسيانيد ( Cyanide ) . ولكن لأن لم تثبت سلامة مثل هذه الوسائل للعلاج وما زالت في مراحل التجربة .

# السلامة

بقلم الأستاذ محمد الجذوب

وأمسكت قليلا تقلب كفيها كأنها تبحث عن الجواب . . ثم تابعت بلهجة أكثر حرارة : أين عنجهية قريش ؟ . . أين عهود فتياتها ، الذين آلو ليسدن أبواب مكة بوجه محمد (صلى الله عليه وسلم) وأشياعه ، ولو بجماجمهم . . وكأنما أقسموا ألا يبصروا بهم حتى يولوهم الأدبار ! . .  
- لا . . لا . . لا . . لا تعجلي يا خرقاء .  
أطلق فضالة هذه الكلمات في غير تعمد ، إذ كانت صدى لم يستطع خنقه لانفعاله الذي أحدثته في نفسه عباراتها المثيرة . . ثم استأنف : أجل . . لقد تعاهدنا على الثبات في وجهه حتى الموت ، ولكن . . ماذا أقول ؟ . . هل للبشر طاقة بمواجهة الجبال وهي تنقض عليهم ! . . وفي سخرية لم تطلق كتمانها عقيت : تلك حجة كل المنهزمين أمام خالد . . حتى صاحبك حماس بن قيس الذي كان يعد سلاحه لذلك اليوم ويعد امرأته بأن يهدي إليها الخدم من اسرى المسلمين ، لم يلبث أن اسلم ساقه

أرحتك من نفسي فابتعدت عنك الى حيث . . - كلا . . بل ابقني بجانبك ، ولكن لا تحاسبيني على كل شيء . .  
وغمرت الجو سحابة ثقيلة من الصمت . . غير أن المرأة لم تستطع احتمالها طويلا ، فجعلت تعبت في جمة فضالة في لطف وهي تقول : « لا شيء اجدى عليك من الشراب في هذه الأيام القاسية . . ورفعت الى شفتيه القدح وهي تهمس : انها من معتقات قطر بل ، فداوبها قنقك . .  
ودون أن يحرك لها يداً سمح لجرعة منه أن تسلسل الى فيه . . ثم أطبق شفتيه وأشاح بوجهه . . وعاد الجو الى صمته الثقيل . .  
وأطرق كل منهما لا ينس . .  
وكان المرأة قد تذكرت في اطرافتها ما لا ينبغي أن تنساه ، فجعلت تتمم وكأنها تخاطب نفسها : هذا الخزي الذي جلت قريشاً . . من المستول عنه ؟ . . ألم يكن ثمة من سبيل الى تلافيه ؟ ! . .

تكن « خرقاء » قد الفت من « فضالة » مثل هذا الوجوم قط . . بل على الضد من ذلك ، كان مصدر نشوة لها لا توصف ، وبخاصة عندما يحدثها عن مغامراته ، ويسمعها ما قاله في هذه المغامرات من الشعر الذي لا تلبث أن تستظهره اعجاباً به . . ولهذا كانت ضيقة الصدر بذلك الصمت ، بل الذهول الذي يواجهها به منذ اليوم . . وخيل اليها أن الرجل لم يعد على شأنه الذي تعرفه من اهتمامه بها وإثارة على سائر صوبيحاته . .  
وبلهجة يغلب عليها الجفاف قالت : لم تعودني مثل هذا الجمود يا فضالة . . فهلا صارحتني بما تفكر !  
وفي ثقيل غير قليل رفع اليها عينييه المحمريتين ثم تتمم : لو تركتني لنفسك قليلا يا خرقاء . . اني بحاجة الى نفسي . . بحاجة الى عقلي . . بحاجة الى بعض الخدوء . .  
- حسناً . . لك ما تريد . . واداً شئت





ليتساءل : أين أريد ! . ولولا ألفة قدميه هذه  
الملتويات من أزقة مكة لكان حرياً بأن يضل  
سبيله .

وما كاد يطمئن في قلب بيته أخيراً حتى  
ألقي بنفسه على إحدى الحشايا . وهناك أسند  
ظهره الى الجدار ، وشبك راحتيه الكبيرتين حول  
ركبتيه ، وأراح فوقهما ذقنه ، ثم راح بصره  
يتسمر في الاتجاه المقابل دون تحديد .

وانطلقت مشاهد الأحداث تتوالت في  
مخيلته عنيفة مثيرة ، حتى وكأنه يواجهها لأول  
مرة . وكان متعلداً عليه أن يحصر تأملاته في  
واحد منها دون غيره . .

انه ليطلع في هذه اللحظات الثقيلة وقائع  
الأمس وما تقدمها من سلسلة لا يتذكر أين  
تبدأ حلقاتها الأولى . . . مصارع الصناديد  
من قرش على تراب بدر ، وكأنما سيقوا الى  
محمد (صلم) مقيدون ليديهم ألوان الخزي ،  
كفاء مسألتهم السابقة اليه والى أصحابه . .

عدوهم للوصول الى ذلك « العالم السعيد » . .  
أما نحن فنقاتل السمعة ، ونحن موقنون أن  
ليس لنا سوى هذه الحياة القصيرة . . وشتان  
بين الفريقين ! . .

— لقد أوشكت تصبأ يا فضالة . . أتصدق  
هذه المزاعم ! . .

— وانتفض فضالة ثم هب واقفاً وهو يردد :  
لا . . لا . . ولكن . .

— ماذا ! ؟

— سترين ماذا . . .

ولم يتلبث الا ريشما أصلح رداءه ، فاتجه  
نحو الباب ، ثم توارى في الرقاق الجانبى دون  
أن يودع صاحبه بكلمة .

لم يكن منزل فضالة على بعد كبير ،  
ومع ذلك فقد استغرق في اجتياز  
المسافة اليه غير قليل من الوقت . وأكثر من  
مرة كاد يخالف الطريق الذي أراد ، فيقف

للريح امام سرية ابن الوليد، حتى أغلق عليه  
بيته وهو يردد على تقريع امرأته :

انك لو شهدت يوم الخدمة  
إذ فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتهم بالسيوف المسلمة  
يقطعن كل ساعد وجمجمة

لم تنطقي باللوم أدنى كلمة  
— لقد والله صدق حماس . . ولو شهدت

ما شهد وشهدنا يا خرقاء يوم الخدمة لم تنطقي  
باللوم أدنى كلمة . .

— ولم ؟ . . اليسوا رجالا مثلكم . . اليس  
خالد الذي يقود تلك السرية هو رفيقكم ونظيركم

بالأمس . . فبأي شيء تفوق عليكم اليوم ؟ . .  
— اسمعي يا هذه . . انهم حقاً رجال . .

ولكنهم يحبون الموت كما يحب غيرهم  
الحياة . .

انهم يؤمنون بوجود آخر فيه الخلود والنعيم  
وما لا عين رأت ولا أذن سمعت . . فهم يقتحمون

ثم .. ضربات الثأر التي شفت الصدور الموثورة في مكة يوم أحد ... حين انكشفت الكترة من أنصار محمد (صلعم) عنه. وثبت وحده في قلة لا تذكر من حيث العدد ، ولكنها حققت مالا يتصور من خوارق البطولات ...

ثم مناظر الأحزاب ، وقد زحفت على يثرب بالآلاف العشرة من قريش وغطفان وأحلافهم ... وفي عزم كل منهم أن يسهم في استئصال محمد (صلعم) ، ومن تبعه ، حتى لا يبقى له ولدعوته أثر في الأرض ... ولكن .. سرعان ما تحطمت آمال الأحزاب على صخرة العزائم التي لم تعرفها العرب قبل عهد محمد (صلعم) ، قتل ... حتى الرياح جاءت تنصر محمداً ، فتنسف الخيام ، وتسفي القدور ، وتشت المطايا .. وتكره الأحزاب على النكوص لا يلوي أحد منهم على أحد ..

**وها** هي ذى اليوم كئيب محمد (صلعم) تقتحم مكة عنوة ، فلا يقف في وجهها شيء .. وكأن كل شيء فيها حتى الحجارة تغفر أشداقها لابتلاع المقاومين ، الذين أرادوا مواجهة السيل ، فضافت عليهم الأرض بما رحبت .

ويقطع تأملاته قليلاً ليتساءل : ولكن .. لم كل هذا البلاء يجتاح مكة دون أن يعرف أهلها سبيلاً إلى دفعه ! .. ومن المسئول عن هذه المحن التي نعانيتها منذ سنين ! ! ..

ويتردد في أعماقه صوت أبي الحكم بن هشام ، وهو يستفتح معركة بدر بالدعاء إلى الله ، أن يجعل الدائرة على الظالم من الفريقين .. ثم كانت العاقبة هزيمة الألف من الضالعين معه ، وانتصار المئات الثلاث من المؤمنين بدعوة محمد بن عبد الله (صلعم) ! ..

ويتساءل مرة ثانية : ليت شعري هل يعني ذلك أننا كنا نحن الظالمين ! ...

وهنا ألقى نفسه تلقاء أشياء أخرى لم يستطع أن يصرف عنها ذهنه ، على كثرة ما بذل من المحاولات : أي لون من الظلم هذا الذي يعرض له أبو الحكم في دعائه ذاك ؟ .. وهل كان

محمد (صلعم) ، ظالماً حقاً ؟ .. أليس هو الذي أجمعت قريش على تسميته بالصادق الأمين ؟ وماذا أحدث لها من أذى حتى تجمع على حربته ! ..

أكل ذنبه انه يدعوها إلى عبادة الله وحده ، وخلع كل ما دونه من هذه الأوثان .. هذه الدمى التي لم تقدر على حماية نفسها من قضيبه ، فراحت تتساقط على وجوهها من أعلى جدران الكعبة ..

وشعر فضالة أنه مشرف على هاوية لا يعرف قرارها .. فنفض راسه ، كأنه يطرد هذه التصورات التي لا يريد الخوض في شأنها .. وعاد إلى أفكاره الأولى ولكن محمداً ليس بظالم .. حتى غزوته لمكة لم تكن إلا وفاء بالعهد الذي قطعه لحلفائه من خزاعة ، بعد أن عدت عليها قريش ، فأعملت فيها السيف حتى في قلب الحرم بغياً وغدراً ...

وتراعى له مشهد محمد (صلعم) ، يطل على قريش المهزومة من باب الكعبة وهو يقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

وتتفاعل أصداؤه هذه الكلمة في خياله ، فاذا هناك مشاهد الكتاب الزاحفة تحت رايات محمد (صلعم) ، وقد أحاطت بأرجاء مكة ، وأطبقت على مشارف الطرق فلا مفر لأحد من قبضتها .. ومع ذلك ، ومع قدرته المطلقة على البطش بخصومه الذين أكرهوه على مفارقة مكة ... لم يفعل شيئاً سوى حمايتهم من كل كرب ، ثم ابلاغهم أسمى مشاعر الرحمة في هذا القرار العظيم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. ومرة أخرى يشعر بالانجراف نحو ما لا

يجب من القول والتصور .. فيشب بقوة وهو يقول : مهما يكن فما ينبغي أن أنسى لمحمد تمزيقه صفوف قريش ، وقتله العلية من ساداتها وذوي أحلامها ..

لا ... لا ... لا ... اني سأظل أكره محمداً .. ولن أسمح لهذه الأفكار الغريبة بأن تقلل من بغضي إياه ..

• • •

وكانت غبشة الغروب قد بدأت تمد ظلالها على فناء الكعبة ، فتغيب المشاهد في غلالة رمادية مهيبة .. وقد انتشر المعتكفون في أرجاء المسجد بين راكع وساجد . وتوزع المقرئون من الصحابة هنا وهناك ، وحول كل منهم حشد من حدباء الاسلام يلقونهم آيات ربهم ، ويعلمونهم ما لم يكونوا يعلمون من حقائق الوحي .

وفي خشوع رهيب يواصل رسول الله (صلعم) ، أثناء ذلك طوافه بالكعبة تالياً ذاكراً صارعاً .. حتى اذا أكب على الحجر المكرم يقبله في نهاية أحد الأشواط ، أخذت عيناه منظر رجل يتبعه في بطاء ، وقد جمع رداءه بيديه إلى الداخل ، فلم يشأ أن يستأنف طوافه قبل أن يشعره باهتمامه ، فتداه : أفضالة ؟

وبعد تردد غير ارادي يجيب الرجل بصوت يغلب عليه الخفاف والارتجاف : نعم فضالة يا رسول الله ..

**وصف** لهجة يمتزج فيها الحنان بالعتاب يسأل رسول الله فضالة : بماذا كنت تحدث نفسك ؟ ..

وتعثرت الألفاظ على لسان فضالة وهو يقول : لا شيء .. كنت أذكر الله .

ولم تكن اجابة فضالة لتصرف نبي الله عن ملاحظة ما تحمل لهجته من آثار قلبه ، فضحك من زعمه حتى برقت ثناياه ، ثم قال له : استغفر الله .

ووضع يده على صدره ، ثم لم يكده يرفعها حتى أحس فضالة أن كل شيء في وجوده قد تغير ، وأنه منذ الساعة قد بدأ يطل على مشارف «العالم السعيد» .

وعاد ادراجه إلى بيته في الطريق نفسها التي تمر بمنزل صاحبتة ، فما أن لمحته حتى أسرع تدعوه إليها ، ولكن فضالة واصل سبيله دون أن يعيرها أي التفات ، وجعل يغغم بصوت لم تعهد مثل لحنه من قبل :

قالت : هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والاسلام ●

محمد المجذوب - المدينة المنورة



موجودہ جہاز سے جوئے انوائس کے ساعات القاریہ العربیہ  
رائع مقام : سامعہ الساعات وھم الذیہ : کھنجر و : سکرۃ الصبر والرحمۃ





أحد أروقعة المسجد النبوي الشريف بالدينة المنورة .  
إبراهيم مقال ، تاريخ المساجد وعلماءها في مكة والمدينة .  
تصوير : مكي أمين

